القبيحة .. الجميلة

تأليف
محمد عثمان

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠
http://gate.dar-elmarf.com

تصميم الغلاف: أيمن القاضى

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ — فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ — E-mail: maaref@idsc.net.eg
http://gate.dar_elmarf.com

إننى كتاب رائع لكل من يريد أن يتعلم شيئا فى هذه الحياة.

اسمى سحر أى تسحر كل من يقابلها وطبعا بجمالها أو سحر أخلاقها أو شخصيتها.

أملك الخيال مثل كل الكتاب، مع الخيال تكون الآمال، ومع الآمال تكون الحياة بنبضها ورونقها وحلاوتها.

أكتب لكم الحقيقة مع أن الأنثى لا تعترف بالواقع، وتعشق الخيال حتى لو كان باطلا.

تعرفت إلى نفسى فى المرآة، فكرهتها، ليست نفسى ولكن المرآة تتحدث بلغة الحقيقة، ومهما حاولت معها فلا تعرف طرق الزيف أو الخداع الخبيثة.

المرآة ليست صديقتى، بل عدوتى، منذ طفولتى، كشفتنى، شعرى مثل السلك أتألم عند تسريحه، عيونى ضيقة كعيون قرد حزين، وأنفى معترض على وجوده أساسا فانبعج بطريقة مخيفة، وأذنى لا أعرف لماذا اختارت هذا المد الخطير وباقى جسدى يزيد من عذابى، أكتافى عريضة كأننى حامل أثقال، ويداى نحيفتان طويلتان كأننى أنتظر شجرة وسباطة موز، التصاق الفخذين أبعد القدمين، وكأننى أؤكد أنه لا شىء فى الجمال عطف عليه حالى.

إننـى أكره نفسـى، لأننـى لا أجد فى نفسـى جمالا يدعو للفرحـة أو الانبهار أو الانحياز، دعوة للحب جراء جزء من هذا الجمال.. وبالتالى الثقة والعطاء والتسامح الجميل، الشىء الوحيد الـذى كنت أملكه هـو ميراثى من جدى والد أمـى الذى أدرك أننـى أحتاج لحماية ومنذ أن أصبحت فى السادسـة من عمرى حتى وهبنى منزلا بالعباسـية له إيراد قديم ولكنه تكتم الأمر عن الجميـع حتى على أمى وكأنه يـدرك مصيبتى وأراد أن يخفف عنى الكبَد.

ستسألوننى عن المدرسة وتأثيرها وزميلات الفصل واللعب مع الأطفال أو حتى الجيران.

هل تصدقونى؟!

لم يلعب معى أحد أو حتى يطلبنى للعب أو حتى أى شقاوة فطرية تلعبها البنات مع الأولاد لاكتشـاف أسرار الجسد والفرق بين الطفل والطفلة.

ستسـألوننى عن أخوتى، يلعبون معى لعبة الإهمال، الذكور يختارونني لحراسة المرمى وأنا فاشلة أساسا فى الإمساك بالكرة.. وثقيلة الحركة ليس لدى ثقة فى نفسى كبنت، فلماذا يختارونى فى هذه اللعبة العنيفة لأكون مثل الولد.

نسيت أن أصارحكم بأن السماء أصبحت صديقتى. أنظر إليها وأعلم أن كل من يدعو الله ينظر للسماء فتتحق أمانيه.

أدعو الله الكثير والكثير، بدءا من تغيير شكلى ثم بتغيير جسدى وجذب الحب لى، فيحبنى الجميع، وأكون رشيقة ألعب وأعيش حياة الأصدقاء والصديقات وأننى أميرة الأميرات.

أجمل شىء فى هذا العالم الأحلام، أحلامى تأخذنى إلى العالم الفسيح فأكون مثل ممثلات السينما.

أتعلمون من هى صديقتى الحقيقية؟!

واحدة فقط.

إنها الخادمة الصغيرة، التى يأمرها الجميع، ولا تعرف اللعب أو الخروج وعليها أن تبكى عند الضرب، ولا تطمع سوى فى مشاهدة التليفزيون مع الأحلام وكأنها مثلى تتمنى أن تكون جميلة ومرغوبة وتنتظر الفارس على حصانه الأبيض لينقلها للعالم الجميل، العالم الحلو الذى تشرب منه ولا ترتوى فتعيش عمرها تشرب من ينبوع السعادة والحلاوة.

نهرتنى أمى على أننى ألعب مع (حياة).. نعم اسمها حياة، فلقد كانت مثل الحياة لى أننا نتكلم ونتمنى ونعيش الأحلام ونفهم معنى أن يكون الإنسان عاجزا عن معنى تذوق المعانى التى تنسج بنبض الحياة.

لم يكن أخوتى على نفس المستوى ودرجة شكلى لا أريد أن أذكر كلمة قباحة، لأننى أملك من المشاعر التى لا يدركها أحد، وأعلم كيف تصيب كلمة قباحة البنت فى مقتل.

أخيرا تركت الطفولة للصبا ليغور جسدى، وتنمو أنوثتى وأخوض تجارب الفتيات فى الدورة الشهرية وما يصاحبها من آلام وخجل وتغيير فى النفس والسلوك والشخصية.

إنها أيام مصيبتى الحقيقية تحول كتفى إلى كتلة لحمية ملتصقة بظهرى وبدانة فى أجزاء جسدى لا يجدى معها أى حل. أصبحت شهيتى للطعام تفوق الوصف، أعوض مأساتى بالبحث عن السعادة فى قطعة شيكولاتة تمنحنى السعادة لدقائق لأبحث عن التعويض التالى.

وهجم على وجنتى كمية دهون هائلة، ببثور تنفجر عند لمسى لها وأصبحت لا أعبأ بما نالنى من سوء حظ فأهملت ملابسى وشكلى وكأننى أخرج لسانى للجميع وأؤكد لهم حالى.

فشلى الدراسى، استقدم المدرسين لمساعدتى، أسرح أثناء الدرس، بأن المدرس يعجب بى ويحبنى ويتقدم لى للزواج ويجمعنى معه عش زوجية، وحينما أشاهد فى نظراته الالتزام التام سواء كان مرتبطا أم غيره، أعتذر لدقائق لألتهم قطعة

شـيكولاتة أعود بعدها محاولة أن أفهم من علوم لا أفهم لماذا تم اكتشافها وعلى التعلم منها.

فجأة أصبحت لى صديقة، لا أعرف من الذى دفعها لكى تكن صديقتـى.. المهم أنها كانت متفوقة فى دروسـها أخذت بيدى كثيرا برغم تواضع مظهرى فإننى اكتشفت أنها كانت مدفوعة من أمى لصداقتى لتخلق لى عالما من التعامل ولا أعيش عالم الوحدة، ولا أعلم كيف أقنعوها لِتُكوِّن هذه الصداقة.

أهم ما حدث لى من تطور أننى وثقت قليلا بنفسى، وأصبحت أفهم دروسـى وأحسـن من مسـتواى العلمى لعلنى يوما يعجب برأسى وعقلى وعلمى أحد.

تصور طـوال حياتى لم يكن لى صديقة سـوى الخادمة وهذه المدفوعة دفعا لتكون قريبة منى.

حصلت على الثانوية العامة ودخلت الجامعة الكبيرة، وزادت معهـا أزمتى النفسـية لأن كل واحدة لها صديـق أو عين زميل تتفحصها وتتقرب منها.. لم أعد أفهم أو أعرف ماذا أفعل؟!

هل ألبـس الحجاب لأخفى شـعرى أو ملامحى، ويتقدم لى أحد الشـباب لأنه معجب بأخلاقـى التى تتمنى وجود الحبيب فى الجوهر ولا تملك أى شـىء للمظهر القاسى الذى كنت فيه،

أنظر لكل نظرات الحب بين الزميلات، ونظرات الإعجاب، أنظر للجمال فى ساق كل واحدة أو عيونها أو التفافها ورشاقتها.

كل واحدة لها مقياس جمال أو منطقة جمال ترغب فى أن تظهرها وتزيد من تأثيرها، وليس لدى أى شىء أقدمه.

أنظر للجميع فى حسد، الكل يمتلك ولا أملك شيئا.. وأحلامى تعذبنى كل ليلة بأننى قد أصبحت جميلة أو حتى متوسطة الجمال.

لا تعلمون ما تملكون، الجمال نعمة والقبح نقمة، أرى بعينى جميلات يهدرن جمالهن فى علاقات خائبة مع رجال، تنتهى أحيانا بالانتحار أو الانحراف فى طريق المتعة بالزواج العرفى أو الانفلات العاطفى والهروب إلى ضغط الانحراف.

لو ملكت هذا الجمال لاستخدمته لتحقيق كل الأهداف، فعلا إن من يملك شيئا لا يعرف قيمته والحرمان هو أعظم مدرس إنسانى فى التاريخ.

مرض والدى وكنت دائما بجواره، ورحل بعد صراع مع المرض، وأخيرا ورثت المال من أبى والبيت الملك من جدى، وأصبحت على أعتاب سن الرشد.

كل أخوتى يترددون لى لأننى أملك منزلا كبيرا الكل يطمع فى هدمه والبناء فوقه وأنا لا أوافق أو أعترض.

تقدم الشـباب لأختى ليتزوجوها، وفوجئـت أن والدى كان لديـه ثروة كبـيرة كان حريصا عليها، وحينمـا آلت هذه الثروة لأخوتى أصبح الجميع يحقق أحلامه.

فالمتزوج بدل شـقته بأخرى أو سـكن فى فيلا بالمدن الجديدة، والتى كانت يتردد الرجال فى التقدم إليها، أصبح عرسانها كثيرين.

حصلت على الشهادة وبقيت فى البيت مع التليفزيون وأحلام اليقظة منتظرة أى شىء ممكن أن يحدث ليغير حياتى.

لم يتقـدم لى أحد برغم مـالى وثروتى، ربمـا لم تكن بالقيمة الكبيرة التى تغرى أى رجل للتضحية بعمره من أجل المال..

المنزل الموروث بجوار قطعة الأرض مبنى كبير، جاء السمسار، ونظر لحالى وما أملك.. سألنى أن أدخل شريكة فى المشروع.

فكرت لما لا؟!

جن جنون أخوتى.. إنهم يريدون كل شـىء لهم، قررت أن أكون جزءا من المشروع، واستعنت فى ذلك بمحام ومحاسب من أصحاب خبرة.

الكل يتودد لى، لم أكن أعلم أن جدى قد ترك كل هذه الثروة. منزل العباسـية، تم هدمه، وإضافة أرضه إلى مول تجارى كبير، وأصبحت أؤجر المكان بالمتر شهريا وأحصل على الآلاف.

وكل هذا وحالى يؤكد لى أننى وحيدة، كل يوم أجلس للمحامى أستمع إليه والمحاسب وأخيرا السمسار الذى أشار على بفكرة الاندماج.. لديه قدرة هائلة على اجتذاب الناس لأفكاره وآرائه.

يجلس إلى يشرح الخطط، وكيفية الاستفادة من كل متر فى هذا المول الكبير واقترب منى أكثر وسألنى عن حالى والرجال الذين من الممكن أن يتقدموا لى (لأن كل واحدة لها نصيب وكل فولة ولها كيال ولازم هايجى النصيب جاى جاى).

اقترب منى مجدى السمسار، فهو الصادق الذى يضمن أعمال الجميع ويكون الوسيط الجيد بين المتعاملين ولقد أعطيته الثقة بالاستعانة بالمحامى والمحاسب فى كل خطواتى.

لم تعد تفلح معى الأحلام، أو الأمانى، أو خداع المرآة، حتى جاءنى مجدى السمسار بعفيفى التاجر الذى يريد أن يشترى محلا مميزا لدى، برغم أن هذا التاجر أكبر عمرا إلا أن صوته المقنع أشعرنى برغبة فى أن أتعرف إليه أكثر.

امتدحنى عفيفى، ليس بالجمال، ولكن برقة المشاعر وطيبة قلبى ورغبتى فى عمل الخير.

يتحدث كثيرا عن أعمال الخير، وسألت مجدى لماذا أحضرته هل يريد أن يتعامل معى مباشرة؟.

صارحنى مجدى بأن عفيفى ســـىء الحظ فى حياته وأنه فقد زوجتــه، يبحث عن زوجة وأنه يمر بضائقــة مادية، ولكنه من أثريــاء طنطا ومن الممكن أن تمر هذه الكبوة بســرعة إن وجد من يقف بجواره.

سألته بفضول حاد.

– هو عايز يتقدم لى.

– طبعا يا أستاذة سحر.. هو هيلاقى أحسن منك فين؟

– كــدت أرد عليــه طبعا هيلاقى وهيلاقى ومفيش أســوأ من كده.. وإيه اللى مأخره؟.

– إن حضرتك توافقى على عرضه لأن سنه كبير وكده.

وهكــذا دبــت الدماء فى عروقى وبدأت أشــعر أن هناك من الرجال المستعد أن يتقدم لى ويقبلنى على حالى.

لم تمض دقائق، حتى بدأت أغنى أغانى الحب وأنظر للمرآة أحاول أن أتصالح معها، وأكاد أبكى من الفرحة.

– هناك رجل يريدنى.

اتصلــت بكل المعــارف، وبحثت فى ذاكرتــى عن صديقاتى لأزف إليهم الخبر، وفتشت فى أوراقى القديمة لعلنى أجد اسما من الأسماء التى تهتم بى، وتتذكرنى وتشاركنى سعادتى.

أمـــى العجوز، فقدت الأمل فى. فتكومـــت مع المرض وكتمت الشكوى والألم فى انتظار يد القدر بلا رجاء أو حتى دعوة للانصلاح.

علـــم أخوتى عـــبر الهاتف أن هنـــاك عريســـا، فرح مجدى السمسار فالسمسار يهمه الإنجازات وبالتالى الهبات.

اتصلت بالمحاســـب أســـأله عـــن رصيدى وأكـــد أنه تخطى الملايين، اتصلت بالمحامى أســـأله عن الاحتياطيات المؤكدة ولم يكن الاتصال تجنب المخاطر بقدر ما هو مشاركة فعالة لما سيؤول إليه حالى الجديد الرائع.

كل هـــذا، ولم ينطق عفيفـــى بكلمة واحدة ليعبر عن نفســـه أو رغبته فى الارتباط بى.

ســـكت الجميع فى انتظار ما تسفر عنه الأيام، فلم يعد أحد يريـــد أن يســـبق الحوادث، فربمـــا أنا واهمة، وليـــس هناك إلا كلمـــات متناثرة هنا جعلتنى أعيـــش خيال الرجل وأن هناك من الرجال من يرغبنى ويربط عمره ومستقبله بى.

فعـــلا مضى يومان ولم يحضر عفيفى وكنت فى هذه الأيام أذهب للكوافير أحاول إصلاح أى شـــىء. حتى إننى ذهبت للنادى محاولة أن أحرك جسدى المتبلد ليكتسب جزءا من الليونة، بل إننى حاولت أصلح من ملابسى وحركات جسدى ليظهر جزءا من الأنوثة الهاربة.

أنظر للأفلام العربى وكأننى أشاهدها لأول مرة، أتصور نفسى سعاد حسنى فى قبلة مع عمر أو رشدى أو شكرى أو أى أحد.

ياله من خيال هائل أن يعيش الإنسان مع قصص الخيال قصة قصة وروعة روعة..

جاء مجدى السمسار كالعادة دون موعد ومعه عفيفى، واستقبلتهما الخادمة عند الباب وبلغتنى، فدق قلبى دقات هائلة من الخوف والرعب الذى لم أعهده من قبل.

دخلا الحجرة وأنا أتقلب بين الملابس أحاول أن أختار هل اللون الأحمر المثير أم السماوى الحالم أو الأخضر الغنى أو.. أو..

وأخيرا لبست ملابس متناقضة مع بعض فى ارتباك انتظارا لرأى العريس.

كدت أسقط من طولى، فجسدى غير المتناسق، لم يقو على حمل جسدى المتخاصم مع بعضه.

لم أعد أسمع شيئا غير همسات عفيفى، وكلام مجدى، وأيقنت أننى على أعتاب مرحلة جديدة.

أحضرت الخادمة الشاى وقدمته وأنا أنظر لملامح عفيفى، هل فعلا لدى القبول عنده، أم أن مجدى يؤلف قصص خيالية ليوهمنى بأشياء وأشياء، كل ما أريد سماعه هو أنه يتقدم لى.

– أخـيرا نطق مجـدى وأنا أنظر لعيون عفيفـى التى كانت تستنجد بى أن أوافق.

فهمت من مجدى أن المحل سـيأخذه عفيفى ويشاركنى فيه وسيسدد مع الأيام، وأننا سنصبح فيما بعد عائلة.

تحركـت ملامح عفيفى عن ابتسـامة صغيرة، أمـا أنا فلقد عرفت معنى الابتسـام، بل كدت أن أصـرخ فرحة وأفتح نوافذ الشقة والبلكونة وأصرخ بأعلى صوتى.

– عريس جه..؟؟.

– أنا حلوة أهوه

اتسـعت ابتسـامة عفيفى، والرضا فى عـين مجدى، وكأننا أصبحنا متفقين على كل شىء.

نظرت فى الأرض خجلا، وكأننى أكتم كل مشاعرى، والحيرة فى عين مجدى تؤكد أننى إما ساذجة أو ممثلة والحقيقة المؤكدة أننى سعيدة لدرجة (الهبل).

عفيفى تجرأ أكثر، وبدأ يتحدث عن المستقبل، ومجدى سعيد، فلقـد نال الرضا ولم يعد أمامنا إلا إجـراءات توثيق الاتفاقيات، كعادة كل السماسـرة، مجدى يتحدث عن الإجراءات المستقبلية بتفاءل حذر. أما أنا انشـغلت بتفحـص ملامح عفيفى، تخطى

الثلاثين بكثير بفرق شـعره الناعم، أبيض البشـرة، نظارة طبية رقيقة، عيونه واسـعة بأهداب مؤثرة، شـارب دقيق على شفتيه دقيقة تجذب الابتسـامة بالـكاد، أنف دقيق وكأنه مدرس فصل يلقى الدرس بإسـهاب، متوسـط القامة رشيق الحركة، رجلا لم أكـن أتمنى فى حياتى أفضل منه، فى بداية العشـرينيات أبدو كأننـى أكبر عمرا وهـو تخطى الثلاثين وقـارب الأربعين ولكنه الرجل الذى دق له قلبى.

حينما هم بالانصراف وتلامسـت يدينا شـعرت بدوار، فهذه اليد سوف تتجول فى جسدى وفى نفسى تنشر الفرحة والبهجة لجسـد لم يعرف معنى لمسـة حنان أو حب أو نشـوة حتى ولو كانت زائفة.

لم أرد أن ألمس شـيئا آخر أو أغسـل يدى، يدى سعيدة هذا اليوم، لم أرغب فى مشـاركة أحد سـعادتى، أنام مستلقية على الأريكة فى الشـرفة أنظر للسماء وأشكر الله على نعمته على فلقد منحنى معنى لوجودى ومعنى للحياة ذاتها.

اتصـل بى عفيفى يتحدث إلى – سـعيدة كل السـعادة –، وعندما حدثته عن زوجتـه.. ورحيلها.. بدا الحزن فى صوته لا يريد أن يتحدث عنها لأنها تحمل ذكريات صعبة مؤلمة وهو يريد

السعادة فى مستقبله معى.. ووعدته بعدم ذكر أحاديث الماضى وأصبحت سعيدة بحديثه، والتهمت كالعادة الطعام فى سعادة، بعد كل محادثة هاتفية.

وأخطرت أخوتى بموعد حضوره ليتقدم وحضر ومعه أخته تتحدث ولكنها تنظر إلى ملامحى متفحصة ملامح الجميع المستنكرة هذا الحدث وكأنهم رتبوا أنفسهم على ميراثى ليلتهموه.

أخيرا، انطلقت الزغاريد، نعم أسمع صوت زغرودة، وكأننى شىء يعلو فى السماء، عفيفى يبتسم لى، سيأخذنى بين السحاب.

لقد استقدمت الكثير من أجل هذا اليوم من الكوافير ومتخصص الجمال لإظهار أى لمسة من الجمال وبدأت أشعر بشىء من الثقة فى النفس.. مع ابتسامة عفيفى كانت الدنيا مقبلة على بوجه جديد.

لا تسألونى عن السعادة، فلقد اكتشفتها، معنى السعادة بعد الحرمان هو أفضل شىء فى هذا العالم، إن معنى الانتصار العظيم هو بعد الهزائم المتلاحقة وهكذا شعرت بالسعادة الحقيقية.

فرحت أنا وهو وتلامست يدانا.. وشعرت بمعنى أن أكون أنثى تطمع فى الكثير والكثير فى هذا العالم الذى يعطى ويحرم من يشاء.

لم يتركنى أهلى فى حالى، بحثوا ونقبوا عن عفيفى، واكتشفوا أنه متزوج، وأنه يمر بضائقة مالية، وعليه شيكات

وإن لم يسددها فمصيره السجن وهناك كمبيالات إن لم يسويها سيكون مصيره الإفلاس.

لم أحظ بأى سعادة حقيقية سوى أسبوع واحد تتلاطم فيه الأمواج مع سفينتى الصغيرة المتهالكة.. لتحطمها على صخور الحقيقة مرة واحدة، بكيت، وتمنيت أن يحضر ليقابلنى ليكذب على أى كذبة لأصدقه فورا وأسامحه وأمنحه كل شىء.

لم يحضر عفيفى، علمت زوجته، وأجبرته على التخلى عن خطته، برغم بكائى الحاد، وشعورى بالإهانة إلا إننى لم أتنازل عن مشاعرى الجديدة، ولم أستسلم، داومت على الذهاب إلى الكوافير، ومعاهد التجميل والرياضة، وأحاول أن أكسب الثقة فى حديثى أو تجوالى وسيرى على الأقدام وملابسى المتنافرة.

وتأكدت حقيقة واحدة أننى مطمع لكل من يريد المال، ولا يعلمون أننى مستعدة لمنح كل مالى من أجل جمالى.

قد أتى الكوافير، وقال لى قولا جميلا وأقنعنى بأننى من الممكن أن يتقدم لى أجمل رجل فقط على بالصبر والثقة.

ووعدنى فى زيارتى المقبلة له، سيكون هناك نصيبى وعلى انتظار المفاجأة.

لمت مجدى السمسار، وطبعا قد أغدقت عليه بالمال فى موضوع عفيفى، ولكننى لم أكن أتصور أنه سيخجل ويعيد

ما وهبته له، لأنه متأكد أننى حصلت على مشاعر تنقصنى وكنت أتمناها.

وكانـت مفاجـأة لم أكـن انتظرها بعد انتهـاء جمال (عامل الكوافير) من تسريحى، قال لى اتفضلى حضرتك فى الكافتيريا.

نظرت إليها.. كافتيريا تضم المقاعد الشاغرة والمشغولة بثنائى شباب وشابات لم أجلس إليها ولا مرة واحدة حتى مع عفيفى.

جلسـت علـى أقرب مقعد، ولم تمض ثوان حتى تقدم شـاب طويل القامة ممشوق القوام كممثلى السينما يتقدم إلى المنضدة وكأنه فارس يرقص بالمشاعر ويتقدم كأنه يرقص على حبل سيرك، نظرت إليه، إنه يتقدم نحوى، لم أصدق ماذا يريد منى هذا الرجل.؟!

– الآنسة سحر.

– أيوه أنا فى حاجة.

– ممكن أعرفك بنفسى ولم ينتظر.

– أنا نبيل.. صديق جمال (عامل الكوافير).. شفتك أكثر من مرة عنده وأعجبت جدا بك يا هانم.

– صوته له سحر.. كلامه عسل مصبوب، معقول هذه الوسامة تتحدث لى وتعجب بى كل ده فهل هذه شفقة على أم إنه يطمع فىَّ مثل عفيفى النذل.

ابتسمت له وللقدر، إننى أعيش لحظات الحلم، لم لا استثمرها حتى النهاية.

الحديث منه أسمعه كأنه نغم أبتسم وأنا سعيدة وأنظر لمن حولى أؤكد لهم، نعم أنا مع هذا الجمال، أتقاسم معه الوقت والحديث ومتعة النظر بعضنا البعض.

كنت أتمنى أن يعود والدى للحياة وأن يتمتع بما أعيشه ويعلن ابنتى لم تعد قبيحة وجدى الغالى الذى وهبنى ماله ينظر إلى بابتسامة عريضة لقد عوضتك عما فاتك وكنت على صواب فى منحى المال لك لوحدك، وأمى تستيقظ من فراشها، وتشاهدنى فتتعافى. يتحدث وابتسم ولا أفهم أى شىء كل ما يحدث هو فوران دمى، وصعوده إلى وجنتى وتصبب العرق منى فأصبح الماكياج مع حبات العرق عجين يصعب تجفيفه، لم أصدق نفسى وهو يلمس يدى، ويتحدث إلى فى موضوع لا أفهم منه شىء سوى أننى أهز رأسى موافقة على كل كلمة وكأننى أتابع كلامه.

يداه رائعتان، حيث تلمس أصابع يدى، أرتجف، أشعر بالبهجة وعينان تتسعان لتعبرا عن سعادة قلبى الذى يدق بعنف شديد.

مضى الوقت على وأنا أتمنى ألا ينتهى، طلب لى مشروبا إضافيا كنت سعيدة وأنا أتناوله وكأننى أنثى تؤكد هويتها لأول مرة.

جـاء جمال بابتسـامة، فكل الأمور كما توقع، لقد اسـتطاع نبيـل أن يسـيطر على مشـاعرى ويتعـرف علـى ويتقرب منى ويجذبنى إليه.

أصبحت عاشقة فى ثوان، قد أقول لكم ذلك فتعتقدون بلاهتى أو سوء قصدى أو حتى سذاجتى، إننى أريد أن أكون مثل غيرى.

أريـد حقى علـى هذه الأرض، ما ذنبـى إن كنت بعيدة عن الجمال، ما ذنبى أن أتمنى رجلا فقط فى الأحلام وأثناء مشاهدة التليفزيون أو فى مكان بعيد خفى يحتضن شـاب فتاة يهيم بها ويتمنـى احتضانهـا وتقبيلها.. لم أتذوق معنـى الحب أو حتى التلامـس أو المشـاعر، أتمنـى أن أتذوق يوما قبلـة تعبر لى عن الحياة، وتعـبر بى من حالة الركود والسـكون إلى حالة الغليان والفوران، أريد أن أصرخ حبا وألما ورغبة وحياة وحرية وحركة، أريد أن أتنفس كل المشاعر دفعة واحدة.

جمعتنا نحن الثلاثة الابتسـامات وبدأ الحديث بين الاثنين، يدفعنى أن أعيش لحظات مع نفسـى أحس بها وأشـعر بدبيب قلبـى الرائع الذى يتوافـق معى، ماذا يريد نبيـل منى؟! إنها مجرد البداية.

خرجنا نحن الثلاثة إلى السيارة.. حيث إننى لم أحصل بعد على رخصة قيادة لخوفى من القيادة لكيلا أرتكب أى خطأ..

ركبنا سيارة جمال إلى محل صديق له.. للغداء..

لم أكن آكل إننى أتذوق كل لقمة يتناولها نبيل، لم يهمنى إن كان أحد يراقبنى من أهلى أو تقع عين أى إنسان على.. لا يفهمنى أحد، لقد وجدت أخيرا رجالا حولى ووجدت حقى..

تغدينا ودفع الحساب جمال، وأعتقد أننى ركبت السيارة التى يقودها نبيل لمنزل، وكأننى غازية أتيت بأسير من بين الناس إلى سكنى.

اتفقت على الاتصال، صعدت وكأننى رشيقة وفى خفة الريشة إلى شقتى، وجلست بجوار أمى فى فراشها أتمنى أن تلاحظ سعادتى وتشاركنى مشاعرى الجديدة.

تمنيت أن يأتى أخوتى جميعا لأعلن لهم النبأ.

– كما تزوجتم وكما وجدتم نصيبكم فى هذا العالم، فأنا الآن مستعدة أن أعيش حياتكم، وهناك من يطلبنى.

أرجوكم لا تحسدونى عليه، أعلم أنه رائع فى كل شىء كالحلم إنه وسيم الطلعة وصوته موسيقى، وأكيد وجد فىَّ شيئا مختلفا جذبنى إليه.

نظرت للسماء أدعو ربى.

يا رب أسعدنى بهذا النبيل، يارب احمنى من أى مصيبة ممكن أن تهزنى أو تهزمنى.

إننى راضية بنبيل بكل شىء فيه إن كان مفلسا فلدى المال، وإن كان عليلا أو مريضا سوف أرقد بجواره لأداويه وإن كان يتسلى بى، فأتمنى ألا يمزقنى ويترفق بى، فأنا هشة لكل ما مر بى من مشاعر وتجاهل ويأس وحزن على ذنب لم أقترفه، وأتمنى أن تساعدنى فى أن أعرف طريقى وأن أكمل حياتى طبيعية فى سعادة.

كل ما أتمناه خمس سنوات، من السعادة، وبعد ذلك لا يهمنى الموت فى النهاية.

المهم أننى أريد أن أتذوق الحب، أننى أتعهد لك لو كان مرتبطا أو متزوجا وسأكون الزوجة الثانية فإننى موافقة أتقاسم معها الأيام ولو كان متزوجا من أربعة يكفينى أسبوع من الشهر.

إننى موافقة بأى شىء موجود فيه نبيل، أو أى موقع يقوم بالعمل فيه إنه يقول إنه موظف حكومة، حتى لو كان عاطلا سيعمل لدى، موافقة موافقة.

كان هناك اتفاق على موعد، اكتسبت الثقة بالنفس قليلا، التوتر هو سيد المشاعر كلها، أدركت ذلك أختى، سألتنى عن أحوالى، ببساطة شديدة أجبت بكل ما لدى.

مشـاعر أختى نحوى أفهمها تعتقد إننى ساذجة وساقطة من حساب المجتمع ولولا صدقة الميراث المتوالى على لما أصبحت فى الحالة التى أنا عليها.

أتذكـر والـدى ونظراته، وكأننى حيـوان جريح، لا أمل من شـفائه وكيـف أنه برحيله اسـتراح من الحياة وأسـترحت من نظرات الشفقة وكلمات المواساة وكأننى العذاب الأكيد.

تركت أختى إلى أحلامـى، وأعلم أنها أبلغت أخوتى بما أنا بسـبيله ولا تعلم أنـى أدركت من العمـر الكثـير والمعرفة التى تحمينى، وأننى لا أريد فى الحياة إلا القسط اليسير كالذى تتمتع به وتعيشه كل يوم.

نبيل.. كالقمر.. تقابلنا فى موعدنا.. تلامست أيدينا.. بعيدا عن جمال وبعيدا عن أى قيود.

نبيل يسـتمع إلى، على ضفاف النيل، وموسيقى حالمة تجمعنا وأضواء خافتة تخفى عيوبنا، سواء شكلى أو حتى كذبه وتملقه لى.

فلا أنا بالجميلة أو اللبقة أو حتى المتحدثة الجيدة.

حينما يسـتمع إلى يبعد يديه، وحينمـا يتحدث تلامس يده يدى كأنه يجرب استجابتى، أستجيب لكل ما يحدث وما ينوى عمله بى وكأننى ساحة معركة خاوية من المقاومة.

وحينما خرجنا إلى الطريق، سحب يدى إلى ذراعه، أننى أتأبط ذراع أجمل رجل فى العالم، من أنا؟! حتى أكون هذه الفتاة الجذابة أو المرأة المثيرة، أشعر أننى داخلى جمال.. ولماذا لا؟ ألست من البشر.

سألنى:

– إزاى لحد دلوقتى ماعندكيش عربية؟.

– أصل أنا بخاف أسوق.

– هاتى عربية وأنا أعلمك السواقة.

ابتسمت مستسلمة.

– ممكن طبعا.. حاسأل المحاسب يشترى لى بكرة واحدة.

فاجأنى.

– وليه؟ تعالى؟!

أخذنى إلى معرض سيارات قريب من المكان.. وتحدث مع البائع وجلسنا مع صاحب المعرض.. نشرب مشروبًا.. وسألنى:

– معاكى دفتر الشيكات؟.

رديت على الفور.

– أيوه معايا.

– طيب إيه رأيك تختارى أى عربية دلوقت.

نظرت للسيارات البراقة الألوان.. وقلت فى بساطة:

– اختار أنت.

أشار إلى سيارة حمراء.. لها بابان.. وكانت رائعة الجمال..

سألته بكام؟

قال المبلغ البائع:

فنظر إليه نبيل بحدة وسأله أن يخفض السعر حتى وصل إلى تخفيض ٢٠٪.

أمرنى بابتسامة أن أحرر له الشيك.

لا تصدقوا، دفعت الشيك، واستلمت مفاتيح السيارة والرخصة وأعطيتهم ببساطة إلى نبيل الذى أدارها.. وابتسم لى أن أجلس بجواره.. ثم بدأ يتحرك وأنا بجواره.. بابتسامة.

– تعالى أعلمك.

أمسكت بعجلة القيادة.. وأنا أديرها يمين ويسار ويحتك جسدنا فى متعة كأننى أطير فوق السحاب.

وصلت إلى منزلى أعطانى الرخصة والمفاتيح.. وسألنى أن يمر على فى الصباح لتسجيل السيارة فى الشهر العقارى لأننا تواعدنا مع صاحب المعرض على ذلك.

هكذا كانت أول ليلة لى أشعر فيها باختيارى لشىء يخصنى، سيارة مثل إخوتى، وشاب رائع يشاركنى اختياراتى، لم ولن

أستطيع أن أشرح لكم شعورى، ليس سعادتى، ولكن خوفى من انهيار أحلامى.

جاءتنى أول مكالمة هاتفية منه، صوته الموسيقى أيقظ فىَّ أحاسيس جديدة، ومشاعر أتمنى أن تتحقق، أتحدث فى الهاتف بطلاقة ورغبة أكثر مما يتوقع أحد حتى نفسى، هل المشكلة فى الشكل لكى أكون أكثر قوة وصراحة، وثقة، وتعبيرا عن ذات مكبوتة عمرا تدرك حقيقة نفسها؟ الهاتف سر المرأة، وخاصة معدومة الثقة فى نفسها أو التعبير عن ذاتها.

تتحدث المرأة فى الهاتف لتقول الكلام الذى تتمنى أن تحكيه وتصدقه وتعيشه؛ فالهاتف متعة والحوار معه هو الدنيا كلها.

نبيل فى موعده؛ دق الباب، كنت أتمنى أن تكون الخادمة موجودة لتفتح الباب؛ بل كل جارة تفتح بابها لسبب أو لآخر لتشاهده وأنعم باغتباط لمشاهدة الجيران له، يلبس بدلة أنيقة... رباطة عنق تؤكد على ذوقه، رشاقة فى الحركة كأنه راقص رائع.

– صباح الخير.. قالها لى وشعرت بأننى أجمل إنسانة فى العالم.. اتفضل اشرب شاى.

دخل إلى الشقة... وسألنى عن والدتى.. وذهب إليها فى هدوء فى غرفتها وصافحها.. وتبادل معها الحديث.

تنظر إليه وكأنها تشـــاهد رجلا لأول مـــرة.. وتنتقل ببصرها بينه وبينى واجتذبت برغم آلام المرض ابتســـامة وكأنها تبارك لى كل ما أقدم عليه، ثم أغمضت عينيها، ربما تعتقد أنها فى حلم وأن كل مـــا يعرض عليها هو كوابيس أو أحلام الأمانى يأتى لها فى عمرها هذا.

أمســـكنى من يدى وخرج إلى الباب، عليه جرأة لا تفسير لها عندى، ورد فعلها الوحيد هو الاستسلام التام.

كل الشارع ينظر إلى، وكلى سعادة أقفز فى خطواتى ولا أسير على الطريق حتى وصلنا إلى السيارة أعطيته المفتاح وخرج بى إلى الطريق إلى الشـــهر العقارى، ووقعت كمشـــترية وأنا سعيدة أننى أمتلك ســـيارة حمراء بها صديق تعرف على والدتى ودخل بيتى وأمسك يدى وغزا قلبى وابتسم لكل كلمة أنطق بها.

أصبحت السيارة ملكى، يقودها هو، جلسنا وتغدينا وقلت له على حسابى وأصر على أن يدفع الغداء بنفســه، أعلم أن صاحب المعرض أعطاه عمولته فى بيع السيارة، وأنه أصبح بســببى يملك المال الذى سينفقه على.

أخذنـــى إلى مكان بعيد، لأتعلـــم القيادة، لم أكن مرتبكة، لقد أوصلنى للثقة بالنفس والأمان لأننى بجواره، وأصبحت أســـتطيع

أن أنقل السـرعات وأتحكم فى المكابح (الفرامل) وكل ما تحتاجه القيادة من فنون كل هذا فى يومى الأول وأصبحت أتواجد معه لكى أقود السـيارة، وأصبحت فعلا جميلة وتألقت عينى.. اسـتجاب شعر رأسى لمشط الكوافير، الكل ينظر لى على أننى تغيرت.

كنت أخشـى حسد الناس وغيرة البنات والعيون المتفحصة لى وله وكأننى لا أستحقه.

فات الأسـبوع الأول.. والـكل ينتظر منى أن أعبر عن التطور الحـادث، كلما تزداد أرباحى فـى المول، وأحقق النجاح المادى كلما جاء إخوتى يحاسبونى.

بمنتهى البساطة قصصت على نبيل أحوالى، ابتسم فى ثقة.. ثـم أوصلنى إلى البيت وتقدم حتى باب الشـقة معى.. وقبل أن أفكر قال:-

– قدمينى على أنى مدرس السـواقة ومدير أعمالك الجديد.. لم أناقشه، قلت مثلما قال لى.. وأنا أقدمه لهم.. وأمرت الخادمة بإحضار الغداء لنا.

صافحتـه أختى فى حيرة وغـيرة فى نفس الوقت، أما أخى فنظر إليه بابتسـامة مستفزة وجلس معنا على مائدة الطعام يسأله وكأنه يحقق معه.

نبيـل يلتهم الطعام فى سـعادة ويثنـى على حلاوته ويجيب علـى أخى باسـتفاضة، ولم أكن أتوقع أنه بهـذه الثقة واللباقة والأعصاب القاهرة التى لا تلين، أو تخشى نظرات الآخرين.

سـألته ماذا يفضل.. فطلب كوبا من الشاى.. حضرته بنفسى وقد تركت أخى معه حتى أتحرر من محاولة الدفاع عنه فهو من الكفاءة بحيث يرد بما يحقق الهدف من وجودنا معا.

سألت نفسى حقيقة ما الهدف؟

– الصداقـة.. الأمـان.. الحب.. هل ممكـن أن يكون ذلك، تمنيـت أن ينتهـى غليان الماء لأصب الشـاى وأخرج من المطبخ الذى ورطت نفسـى فيه عندما أعلنت بأننى سـأحضر الشـاى بنفسـى فلقد أقنعنى الجميع أن نفسـى فى الشاى هائل.. رغبة منهم فى اسـتخدامى فى أى عمل أو إكسابى الثقة بنفسى وربما فعلا أننى بارعة فى صنع الشـاى مع أنه أبسـط حكاية فى دنيا المطبخ.

قدمت الشـاى، وأخى كأنه يعصر بأسئلته ونبيل مازال على ابتسامته وكأنه قائد سيدخل المعركة والنصر حليفه سلفا.

ودعته على باب الشقة وببهجة من لا يصدق نفسه.

– أختى ده صحيح مدير أعمالك؟

– أيوه.

– وأنتى محتاجاه فى إيه؟

– بيساعدنى فى كل حاجة.

– تعرفيه منين؟

– عرفته وخلاص أنت متضايق ليه؟

– أصل شكله نصاب.

–نصاب.. وامتقع وجهى.. نصب على فى إيه؟!

– فى العربية اشترتيها بكام؟

– طيب مافكرتش أنت ليه تجيبى لى عربية وتعلمنى السواقة وتخفف عنى وحدتى.

– آه قـولى كده العمليـة كده.. يعنى أنا مـا عملتش تجيبى واحد يعمل.

– لا أنا مش هاموت بالحيا، أنا هاشـتغل وأكسب وأخرج.. وأتعلم من الدنيا.

– هايسرق فلوسك.

نظرت له بتحدى.

– طيب مين اللى عايز يسرق فلوسى؟.

– أنت بتتهمينى بأنى عايز أسرقك، ده أنا كان ممكن أطعن فى ميراثك من جدك وأقاسمك أنا وأخواتى لولا أنى عملت بصلة الرحم.

– أرجوك يا بهجت ماتتكلمش معايا فى الحاجات دى لأنى مش ناقصة.

– لا.. ده بيت العيلة.. ومش من حقك يجى ويتصرف معاكى ومالوش صفة.

– ما طول عمر المحامى والمحاسب والسمسار بيجوا البيت وطول عمرك بتطلب منى فلوس سلف وما بترجعهاش، ولا دلوقتى حسيت أنه هايضيع منك الكنز.. إذا زاد الكلام عن كده أنا هاتصرف تصرف مش أخوى وأنهى المناقشة واحمى نفسى منك أرجوك مش عايزة نخسر بعض.

ثم نظرت له بحدة قائلة:

– أنت شايف أن حظى فى الدنيا شوية، ماتستكترش علىّ النعمة أو أى راجل يتقرب منى ده أنا أختك برضه.

وانخرطت فى بكاء حاد.. وتركته إلى غرفتى ألملم آلامى وبكائى وأحزانى والحقيقة المرة التى تضجر حياتى وتقلب مضاجعى وتنهك مشاعرى.

ونظرت للمرآة التى أكرهها، زادنى البكاء قباحة، بعد ما مس الأمل جفاء حياتى وارتويت به، وتفتحت زهور وجنتى وعينى وشفتى فإذا بى أسقط من أعلى على الحقيقة المرة.. إننى قبيحة.

لم أنم ليلتـــى، وأتمنى أن يكون لأخى الذى أهاننى جزء من الضمير يؤنبه على ما اقترفه فى حقى.

جـــاء هاتف نبيل فـــى الصباح، دق قلبـــى، وانتعش أملى، وتجددت خلايا جســـدى وتمنيت أن أكـــون الجميلة.. حتى لو كان هذا هو الحلم البعيد.

تحدثـــت إليـــه أحاول إلغاء كل ما أصابنى مـــن أهوال ليلتى.. واتفقنا على أن نتقابل، قابلته عند سيارتى، وقادها إلى المكان الذى سأتعلم فيه القيادة، ارتبكت ارتباكا شديدا، لم أعد أثق بنفسى.

لكن نبيل الرائع، استطاع ببساطة أن يثير فى كل الأحاسيس مرة واحدة بملامســته ليدى وأجزاء جســدى، شعرت أننى أفور من داخلى، وتغلى الدماء فى كيانى ورأسى وأننى أريد أن أتهور وأنطلق، وإذا بى فعلا أنطلق بالسيارة.

إنه الأستاذ، الذى لا يفهمه بهجت وغيره، هذا الذى يحدث الاحتيـــاج حينما يجتاح المـــرأة والرغبة عندما تثار والانطلاقة إلى أبعد حد، وماذا تريد المرأة أكثر من ذلك.

إننـــى لا أريد أن أكون آنســـة، بعد اليـــوم، أريد أن تثور فىّ الدمـــاء وأتحول لامرأة ولو ليوم واحد أتذوق فيها طعم رجل يفتح داخلـــى طريـــق المعرفة والحـــب والنغمة التى هـــى من حقى أن

أطولها وأصل إليها وأتمتع بها وأصرخ كغيرى فى نشـوة... لقد أصبحـت امرأة كاملة تتذوق معنى الحياة التى هى هبة لا يمكن أن ترفضها أو تلفظها نواقيس الأنوثة.. الصداقة فى أذنى، أننى أريده وأننى سـأبيع عمرى من أجله.

ذهبت للغداء معه، ثم ذهبنا لمكان على النيل، وبيده مظروف به أوراق.. هى أوراقه كلها.

شهادة الميلاد شهادة التخرج فى كلية التجارة.. صورة بطاقته الشخصية.. كل ما يتعلق به.

سألته عن أهله.

– والـدى.. كان تاجرا كبيرا.. متوفى من سـنتين.. أخواتى بيديروا الأعمال.

فرحة بقصته سألته:

– تجار إيه؟

– تجار مانيفاتورة.. يعنى تجار قماش وكده.

– طيب ليه مش بتشتغل معاهم.

– الحقيقـة اشـتغلت وطريقة شـغلى ماعجبتهمش.. تركت الشغل ولى نصيب كل شهر.

– طيـب ما دام من عيلة كبيرة ليـه ماعندكش عربية.. وإيه حكاية شغال فى الحكومة اللى قلتها لى أول ما تعرفنا ببعض.

لن أنسى ملامح وجهه هذه المرة، ملامح جادة صريحة واضحة. بعينين عميقتين بدأ الرد:

أنا فعلا من عيلة كبيرة، مشكلتهم أنهم بيعتبروا أنفسهم بيملكوا الإحساس والمشاعر وبيفهموا فى الأصول، لكن أنا متأكد أن العيلة الأصيلة.. هى اللى بتسامح وتحمى أبناءها مش تعاقبهم أنا مش فى خصومة مع أهلى ولكن فيه عدم أمان وثقة بينا، والدى قبل أن يموت كان عايزنى أشتغل معاه، سيبت كلية الهندسة علشان أكون فى كلية التجارة اشتغلت معاهم وكنت كفئا فى تطوير المحلات سواء فى الحسابات أم اتساع النشاط أم الاتصال بالعملاء، كان فيه مشروع جواز، أرجوكى بلاش نتكلم فيه وهو السبب اللى خلاهم يبعدونى عن الشغل، فكرت أنى أشتغل فى الحكومة واتعلمت حاجه مهمة، مش مهم المظاهر أهم شىء المشاعر، جرحهم ليا وتحميلى كل مشاكلهم ومشاكل العمل خلانى أفضل أكون لوحدى بعيدا فى عمل ثابت سهل، الصبح فى ميعادى أمضى وقبل ميعادى أمشى على النادى أو القهوة أضيع الوقت.

الشاب الضايع محدش يلومه إن عمل علاقة أو أفلس أو أصبح عبئاً على عائلته، أنا عندى ميراث سايبه ليهم يدونى نصيبى

بطريقتهـم لكن مش معنـى كده إنى ضعيف، القـوة عندى فى العطاء وبذل السعادة للآخرين.

ابتسـم مرة واحدة وسألنى أن أسلفه مبلغا نقديا، فوجئت أنه مبلـغ كبير، ووافقت دون تردد، سـحبته مـن البنك، وأخذنى لمحل كبير معروف واشترى لى بعض الهدايا.. منها دلاية للعربية

نظرات الناس تدهشنى، أتساءل هل أستحق هذا ؟

أم لا أستحق هذا الرجل أم أننى ساذجة أشترى الرجال، لا أفهم تعبت من حساب عيون الناس وتحديقهم فى.. قال صاحب المحل لى:

– هدية منى علشان أول مرة تزورينى.

ابتسم نبيل، وأوصلنى بسيارتى إلى بيتى، وأعطانى النقود كما هى صممت على أن أعطيه السـلفة ولكنه أصر كعادته بابتسـامة مقنعة، تركنى.. وأنا متسائلة عن مستقبلنا ولكنه كان فى موعده يتسلم مكتبه وعمله.. ويبدأ فى التعرف على كافة الأعمال.

مضى الأسـبوع الأول وأنا أتحدث إليـه كل يوم، حتى جاء وقـت إجازته فخرجت معـه ولم تكن عادة بهجت الحضور يوم الإجـازة ولكنـه حضر ونظر إلى وأنا أتزين لهـذه المقابلة وكأننى رخيصة أذهب لعملى كعاهرة.

حضر نبيل وكانت سيارتى فى انتظاره، أصر على أن أبدأ بقيادتها وفعلت وقلبى يدق وبعد فترة اكتسبت الثقة وقلت له:

– كفاية.. ده أنا اتقدمت قوى.

خرجنا إلى الطريق، وهناك جلسنا، وسألنى كعادته:

– هانتعشى مع بعض طبعا.

– أنا نفسى أخس شوية.

– أنتى عملت مجهود كبير فى النادى.. وعليكى أنك تكملى.

– على فكرة.. أختى الكبيرة هاتحضر معانا العشا.

– احمر وجهى واضطربت كيف سأواجه أخته وبأى صفة سأكون ولماذا لم يخطرنى مسبقا.

أكمل عباراته وهو يحدق فى:

– أنا مرضتش أقولك من الأول علشان مش مهم قوى تعملى حسابك وبعدين ممكن أعتذر لها.. يعنى ممكن كل اللى أنتى عايزاه.

أخذت أحسب بسرعة الموقف وابتسمت لعلها تكون بداية الثقة بيننا وأننى سأستطيع توظيف كل شىء لمصلحتى.

بهدوء تام جلسنا معا وطلبنا العشاء لثلاثة أفراد، كان طبق من الكباب الكبير.. وبعض من السلطات وأخيرا حضرت أخته

منى.. لا أستطيع أن أصف وصفها فهى جميلة مثل نبيل بل ملكة جمال، تنظر إلينا بابتسامة وتقدمت منى، قمت بارتباك وقبلتها وأنا أحاول أن أستجدى شجاعتى وأللم شعر رأسى المتنافر.

كانت تأكل كأميرة تنظر للرجال المعجبين ببساطة وكأنها مدركة لنظرات الإعجاب كشىء طبيعى وتقديرا لرصيدها.

بدأنا الكلام عن كل شىء، وكانت مصغية إلى تشجعنى، تفهمنى تمنيت أن تكون لى أخت مثلها، وبعد أن تناولت الشاى اعتذر نبيل لتدخين سيجارة ولم يكن من المدخنين ربما من أجل أن يتيح لى ولأخته فرصة للحديث معا.

سألتنى وكأنها تطمئن.

– تفتكرى لو نبيل اتقدم لك. من الممكن أن الأمور تمشى سهلة.

– احمر وجهى وشعرت بدوار، ولم يقو لسانى على الرد وكأنه ملتصق بسقف فمى وتوترت يدى واستجمعت شجاعتى متسائلة.

– هو سألك فى كده.

ببساطة:

– أيوه بس كان عايز يعرف رأيك.

بدأت أستجمع ثقتى بنفسى وبدأت أنطق الكلمات المتوترة.

– علاقتــى به علاقة صداقة وعمل وأنــا باحترمه وأتمنى أن علاقتى به يعنى العلاقة.. بمعنى أنه لو اتقدم أيوه يعنى لو اتقدم هاكون سعيدة.. لأننى مش هلاقى أحسن منه.

ســكت ونظرت لكوب الشاى أســتجمع كل ما قلته وكل ما عرض على وأشعر أننى فعلا محظوظة بهذا اللقاء.

جاء نبيل ونظر إلينا وقالت له أخته بلباقة:

– إحنا اتكلمنا واتفقنا، أنت شــخصية ممتازة.. وأنا سعيدة جدا وباقولك مبروك وشد حيلك علشان تدخل العش الذهبى.

نظر إلى نبيل مستفسرًا:

– يعنى موافقة.

الفرحــة ضغطت على الكلام فضــاع، وضاع صوتى معه، ولم أجد إلا رأسى أهزها فى توتر زائد.

نظرت منى إلى حقيبتها قائلة:

– هاروح دلوقت أفتكر.. إحنا ممكن نيجى نزورك الأســبوع الجاى وألف مبروك.

قبلتها كأننى أقبل أجمل امرأة وأجمل خبر وأجمل شىء فى الحياة.

أخذنى نبيـــل من يدى إلى الطريق تأبطت ذراعه، أنه رجلى ولى ولن أتخلى عنه أو عن الأمل الذى يحمله لى.

إلى الآن لم أتـــذوق طعم الفرحة، هل يقبلنى كما أنا أو يطمع فى أو يشفق على؟!

هل من الممكن أن أتذوق السعادة معه كأى زوجة مع زوجها.

لم يضيـــع الفرصة نبيل أخذنى للمقطـــم حيث القاهرة تتلألأ تحتنـــا وفى مكان هادئ ضمنى إلى صدره.. وأنا مغمضة العينين، التصقت القبلة وارتجفت من الإحساس الأول الذى كنت أتمناه.. وأغمضـــت عينى مستســـلمة، لو أمرنى أن ألقى نفســـى فى النار لألقيت نفسى دون تردد وغير نادمة.

نظـــرت لعينيه لأتأكد أنه يعيش نفس الحالة من التحليق فى عالم الجمال والمتعة والخيال والأمان.

كان يقـــرأ كل ما بداخلى فى غمضة عينيه. فلم أعد أقرأ أى شىء عنه وتركت نفسى لأفكارى إن كانت حقيقة أم خيال.

لم أنشغل بمشاعره أو ماضيه أو أى شىء أريد أن أنقذ نفسى من مشاعرى ومن حياتى غير الآمنة.

لم أعد أتســـاءل أريد أن أعيش بين الســـحاب، لماذا السؤال؟ لماذا القلق عشت حياتى كلها قلقة فليكن ما يكون.

عـدت لمنزلى، لم أقو على الصـبر تحدثت مع الجميع وأننى سعيدة بحصولى على الزوج المثالى.

استسـلم الجميع لى، فلم يعد أحد يهتم بأن يثير أسـئلة قد تضايقنى فأنفعل أو يقوم بإثارة مشاعر تثير الخصام بين الإخوة.

كنت أتصـل به يوميا، وهو يصف العمل ومشـاعره بمنتهى السـهولة واليسـر وكنت أتمنى أن نتقابل ثانيـا لنعيد التلاقى، وينعش المشاعر وأحلق بعدها فى السماء.

مضى الأسبوع ثقيلا جدا.. جاء هو وأمه وأخته وأخيه الكبير والبيت كان فى أفضل حال.. واستقدمت طباخا للعشاء وصنعت الكثـير من التغييرات فى الأثاث والإضاءة والشـرفة وكل شـىء ممكـن أن يثير النقد أو التسـاؤل، جلس الجميع، تحدث الكل فى مسائل عادية. وتعرف أخى على العائلة، وقد كان يعلم عنها كل شىء، وكأنه يتمنى أن يفشل نبيل أو تأخذه مصيبة وأنا أيضا معه ليرثنـى، وكأنه منزوع القلب والعاطفـة ويعتقد أن الجميع طامعين لأننى مسخة ومن غير المعقول أن يعجب بى أحد.

كنـت مرتبكة، نظراتـه تطمئننى، حضرت أمـى بصعوبة، وتمنت لى السعادة من كل قلبها وكأنها تعيش على هذا الأمل.

لم يحاول نبيل أن يتحدث فى التفاصيل بل أكد أنه يريدنى كزوجة وأننا نحدد معا المواعيد كلها.

كانـت ليلـة تتمناها أى فتاة، وبدأت أحاسـب مشـاعرى المنطلقة، هـل يحبنى لذاتى أو لطيبة قلبى أو أى ميزة متواجدة فىّ.

لم أكن أقدر على التفكير الصائب، فلقد انهارت كل أعصابى مـرة واحدة، ولم أكـن أتوقع يوما أن أكون مثـل باقى الفتيات أو النسـاء أن يكون بطلها هذا الرجل الرقيق الوسـيم الذى تنبهر به كل النساء من أول نظرة.

قـد يكون فى ضائقة مالية مثل عفيفى أو يريد أن يبحث عن مرفأ أو ملجأ، سأكون له هذا الملجأ إن أراد مهما كانت العواقب.

إن الأحاسيس الرائعة لا يمكن مقايضتها بأموال العالم كله.

سـأكون له الزوجة والحبيبة وكل شـىء يريده حتى لو كنت الخادمة المطيعة أو الجارية.

لم أسـتطع أن أقرأ شيئا سـواء عينيه أو أعين الحاضرين كل ما كان يشـغلنى هو كيف تمـر الدقائق لكى أعيش حياة العروس التى لديها الرجل الذى سيطير بها، إننى لم أكن أنتظر أنا أطير فعلا.

خرج، وعينى وقلبى تدعو له وأن يحقق كل أمانيه على يدى.

وبدأ اخوتى يتحـرون عنه ويحققون ويحللون كل كلمة بينى

وبينه أو تحدث بها إلى أحد منا، وهكذا انتهى اليوم الذى كنت أسعد إنسانة فيه إلى نشر الشرخ فى علاقة وليدة والشك فى نية إنسان يتقدم للارتباط لبناء حياة أسرية جديدة.

بدأت فى تدعيم نبيل، بمرتب عال، فسيصبح زوجى وعليه الالتزامات وبدأت أخرج معه كعروس.

منذ اللحظة الأولى التى شعرت فيها بحقى لديه. وركبنا السيارة قادها إلى جبل المقطم حيث تتلألأ الليالى وحيث إن القاهرة كلها أمامنا بكل ما فيها من أضواء ومساحات ومبانى وعالم، تلامست يدانا واقشعر بدنى وسخنت وجنتى وتدفقت الدماء فى جسدى وألهبت أنفاسه، فكدت أجن لا أستطيع أن أعبر عن نفسى أخجل أن أخوض تجربة فأفسدها.

لم تكن هى أول قبلة بل إنها الجنة، أبواب السماء تستقبل فرحة منطلقة من قلب لا يعرف إلا الانغلاق. ليعرف معنى السعادة الغامرة والمشاعر الفياضة والانطلاق.

لم تكن قبلة واحدة، ولكنها قبلات، إن أبواب الجنة قد فتحت أبوابها على مصراعيها ولا تريد أن تغلق الباب لأحد حتى إن ذقت طعم النعيم، وتعلمت شفتاى طعم شفاه الحبيب. وليس أى رجل ولكنه عريسى رجلى حبيبى حياتى.

غرق جسدى عرقا وسخونة ورغبة، جاء كوب عصير طلبته شربت العصير البارد، ما أحلى ترطيب الشفاة بعد القبلة أو العناق إننى لا أريد أن أكتفى أريد أن تتطور الأمور للأكثر أحلق فى السحاب وأنطلق للقمر وما بعد القمر إلى الكون الفسيح الذى تكون فيه المتعة هى المسيطرة وسيدة كل المواقف.

عدت إلى المنزل سعيدة، عدت وأنا أحمل فى قلبى دقات غير طبيعية، دقات السعادة.

لم تكن الأمور صعبة كما تصورت بل إنها سهلة جدا. ولم تعد المشاعر المتدفقة ترهقنى بل أصبحت تثير فى الرغبة أكثر وأكثر لأتعلم وأعيش حياة المعرفة والسعادة فى الحصول على المتعة الحقيقية.

تأكدت أنه يحبنى ودليلى على ذلك، أنه لم يتأفف من القبلة ما لم يكن يشفق على بل يبادلنى إحساس بإحساس ورغبة برغبة.

زيارة بعد زيارة، انطلاقة بعد انطلاقة، حتى جاء اليوم الذى تأخر عنى بسبب المواصلات، قررت أمرا لم يكن يتوقعه أحد حتى هو شخصيا.

فلقد اشتريت سيارة له وقدمتها له فى عيد مولده الذى كان قريبا من موعد خطوبتنا.

عيد ميلاده.. وقد أصر على أن نحتفل فيه سويا، أحضرت مفاتيح السيارة.. وبعد أن تعشينا وكالعادة أخذنى بعيدا حتى يتسنى له فرصة القبلات التى بدأت أتعود عليها.

بعد أول قبلة أهديته مفتاح السيارة وأنا فرحة، لم يصدق نفسه وسألنى:

– ليه؟!

– لأنك اديتنى أجمل حاجة وعايزاك تفتكرنى كل يوم.

وهكذا شعرت أن يديه تعبران عن امتنانه وقلبى بدأ يقفز بين ضلوعى فلقد بدأت يديه تتحسسان أجزاء جسدى وخاصة المناطق التى تقتحم فيها أنوثتى، انفعلت وبدأت أتجاوب وأشعر أننى أمام عالم جديد يحاصرنى فيه وأنا مستسلمة تماما له.

ثم بدأت فى همسة فى أذنى قائلا أمتى هانقرب أكثر أنا مش قادر.

الرد المناسب دائما هو أننى مستعدة وجاهزة فى أى وقت طالما رغبت فى ذلك.

فقلت:

– اللى أنت عاوزه.

أغمضت عينى وكأننى غبت عن الدنيا وإذا بجسدى يتعرض لموجات من الرغبات الجامحة التى أسعد بها ولا أتمنى أن أفقدها.

استيقظت من غفوتى، إلى السيارة، إلى مكان بعيد، وإلى شقة تفتح وأضواء خافتة وشراب سريع.. وفراش بعيد، وملابس تخلع وسعادة جامحة تخترق كل الحواجز حتى إننى شعرت أننى أصرخ صرخات متتالية، وأستلقى على صدره متنهدة، مستنجدة ألا يتركنى وحدى مع مشاعرى، منهكة، مستسلمة غائبة عن الوعى ومحلقة فى السماء من السعادة.

غادرنا المكان إلى حيث السيارة التى قادها إلى منزلنا ونظرت إليه كأنه الملك وأنا جاريته التى تنتظر أوامره لتلبيها ولم يهتم بكل من فى الطريق. وأمسك بيدى وقبلها قائلا:

- شكرا على الهدية.. مش عارف إزاى أشكرك وأقدرك وأعوضك وأقدم لك زيها.

كدت أن أمسك يديه لأقبلها وأعترف له بكامل إرادتى وأعلنها.

أنا جاريتك يا سيدى.

خرجت من السيارة وأنا تائهة وغير نادمة، خطواتى كأنها تسير على طريق يهتز وعيناى لا تقو على معرفة أى من حولى وأيا كان ما حدث فأنا أشعر أننى لست أنا بل إنسانة جديدة.. ولدت اليوم.

لم أتحدث مع أحد، رفضت الاغتسال وكأن الفراش يناديني، لا أريد أن أستحمى حتى لا أزيل آثار المتعة المتقدة فى نفسى.

بصعوبة بالغة، خلعت ملابسى، ولبست ملابس النوم، مازالت رائحته تملأ أنفاسى، أتساءل:

هل الحياة لها معنى بدون الرجل، الرجال، تكتمل النساء بهم وأجملهم وأكملهم نبيل، ملك عالمى وقدرى ونصيبى وحسن حظى.

لم أشعر بنفسى إلا بضوء الصباح الذى يغمر المكان وكأننى متأكدة أن الصباح الجديد هو الصباح السعيد، فاتصلت بنبيل، صوته قد تغير فى أذنى، لقد أصبح يشعرنى بقشعريرة وكأننى أريده أن يعيد مرة ومرات الحوارات التى كانت بيننا.

ذهبت إلى الحمام لأستحم، والماء الساخن يزيل كل شىء حتى الأوهام، فلقد نظرت لملامحى ولا أصدق أن هناك من أعتنى بى وبجسدى وأوصلنى لكامل المتعة، أتمنى أن أكون يوما جميلة لأنال من الحياة كما نالت غيرى هذا القدر من الحب والتقدير.

لم أكن أتصور أن الحياة الوردية من الممكن أن تكون ملك كل الناس، وهكذا كنت مترددة وغير مصدقة أن الحياة من الممكن أن تهدينى الأمان والثقة والحب.

أشعر أن خلايا جسدى مختلفة، ونظراتى مختلفة بل إن كل حواسى مختلفة.

لم أعد أستطيع الانتظار، على الإفطار، بدأت فى التفكير فى إنهـاء إجراءات الزواج.. فاتصلت بالمحاسـب أطالبه أن يجهز لى شـقتى وبسرعة وأننى سوف أخرج مع نبيل لشراء مستلزمات الشقة من الأثاث.

لم يعترض المحاسـب لأن أى اعتراض سـيقابله منى توبيخ وانفلات فى الكلمات التى لا يمكن له أن يردها أو يصدها.

ولم تمض سـاعة حتى اتصلت بنبيـل، وجاء لمنزلى، وتقابل مع ابتسـامتى وسعادتى والخادمة بيننا تقدم له شاى تحاول أن تخفى أى تعبير على ملامحها.

كأننـى أنتظر منـه أن يمـارس كل كلمات الحـب والرغبة والغـرام، وكان سـيد المواقف، بدأت فى شـرح خطوات الزواج التى أنوى القيام بها، وهو يسـتمع بابتسـام وواثق من كل كلمة يقولها وكأنه يعلم مقدما صيغة الحوار بيننا.

اقترب منى وأمسـك بيـدى ورفعها لشـفتيه ليقبلها بحرارة وأبعدها قليلا قائلا:

– أنا مش عارف أشـكرك إزاى على العربية.. وعلى الوقت الجميل اللى قضيته معاكى.

– أنـا مش عارفة أقولك إيه أنت فتحت قدامى أبواب كانت مقفولة.

– طيب تحبى نعمل إيه دلوقت.

– نشـترى العفش ونعيش فى العش.. وابتسمت ونظرت إليه نظرة أحاول أن تكون جذابة.

قدتـه إلى المكان الذى لا يمكن أن يسـلبنا فيه أحد من وقتنا شيئا.

فـى غرفتى، فى حجرة نومى، والخادمة فى الخارج، وأمى فى فراشها، كانت الأوقات سعيدة ممتعة معه.

اطمأن قلبى له، سألته وهو يلملم ملابسه:

– امتى يا نبيل؟

رد وكأنه مستعد للسؤال جيدا.

– الخميس الجاى.

احتضنته وقبلته وسألته.

– جاهز لكل حاجة؟

– نظر لعينى بابتسامة واضحة وكلمات واثقة.

– كل إمكانياتى تحت أمرك؟!

وهكذا تم الاتفاق.

لم يخطر ببالى لحظة أن كل هذا الهناء أو السعادة له نهاية أو مفاجأة، كنت أعيش لحظات السعادة، ومتأكدة أنها إذا انتهت فيكفينى ما ذقته منها.

إن الحياة من الممكن أن تنقلب على الإنسان أو الحالم أى حادث يقلب الحياة إلى النقيض.

كنت واثقة من نبيل مهما اهتزت الدنيا من حولى، فأنا مطمئنة إليه كأننى نائمة على صدره ويحتوينى بين ذراعه دائما.

فرشت الشقة وأنفقت الكثير، واحتارت الحائكة (الخياطة) فى ملابسى ولكننى نجحت فى أن أجذب كمية من الجمال للامحى وكأن السعادة تقلب الدمامة إلى النقيض.

فتح باب الشرفة، وجلس على مقعد وبيده كوب من عصير الفاكهة، مازلت أحلق فى سقف الحجرة وأنا فى أقصى لحظات السعادة.

أفكر فيما آل إليه حالى، وفيما يفكر فيه نبيل وهو بالشرفة، هل يحبنى، ويعشقنى مثلما وصل إليه حالى.

للرجال أذواق، ولا يمكن لأى رجل أن يتجاوب مع واحدة إلا إذا كان هناك من يجذبه إليها.

هكذا أحصى عدد الأيام والساعات والليالى التى تفصل بينى وبين الأسبوع القادم حيث سيتم اللقاء.

ماذا يفعل ويفكر نبيل فى الشرفة؟!

لبست ملابسى، وتوجهت للشرفة بعد ما فتحت الباب المغلق وسألته عما يفكر فى الغذاء.

– نفسك تأكل إيه؟

رد بابتسامة وهو ينظر لعينى.

– نفسى.. نفسى فى السمك.

وهكذا تغدينا فى الشـــرفة مع أطباق الأسماك الفاخرة، يأكل منها وينظر إلى كأنه يأكلنى بعينيه وشفتيه وأسنانه.

طلبـــت من الخادمـــة أن تتصل بمحل أسمـــاك معروف وتعد الطعام فى الوقت المحدد وعشت أتحدث معه عن حياتى يستمع لى ويعقب وقت اللزوم، وشعرت فعلا أننى جميلة.

مضت الســـاعات هنية، وأكلنا واســـتمتعنا بيومنا، وشعرت بثقة هائلة تطوف فى أرجاء حياتى ووالدتى فى حجرتها تشـــعر بسعادتى وتشـــعر أننى قاربت من لمس القمر وأنها ستطمئن على فى نهاية عمرها.

لم أكن غائبة عن طلبات نبيل المادية، دون أن يســـأل، أهيأ كل فـــترة رزمة أوراق مالية بدون أن أتســـاءل عن قيمتها أو أين سيكون إنفاقها.

تعلمت كلمة العروس الفراشة أو الطائر المغرد وتعلمت الاندماج الجسدى بين الرجل والمرأة وتعلمت كيف أصغى للموسيقى والأغانى.

أتأبط ذراعه القوى بيدى وكأننى طفلة لا تدرى عن العالم شيئا.

مستسلمة، مطيعة، أنظر إليه كأنه إله إغريقى يقدم له الرعايا القربان.

موعد الفرح، هو أهم ما يميز الحديث الهاتفى بنبيل وبين صديقاتى وأقاربى والكل يعد بالحضور فى الميعاد ليس حبا فىّ أو حبا فى الزواج ولكن حبا فى النميمة كيف تزوجت القبيحة وتحولت إلى جميلة وكيف أن أكون عبرة لمقولة إن كل فولة ولها كيال، وأننى مصيبة هذا الزمان الذى يقترن فيه الجمال بالقباحة وأن الرجال عميان وأن المرأة مخادعة ورهيبة وأنه تزوجنى من أجل مالى أو زهق من دنيا الإفلاس لن تشتريه بالمال لتحصل على روحه وحياته وحده.

أعلم فلست بهذا الغباء لكى تغيب عنى الحسابات ولست بحسن النية لا أحسب حساب الناس عن خبايا مشاعرهم وضميرهم.

دقات الطبـول والكوافـير والزغاريد، كلهـا مصطنعة وأمى خرجت من حجرتها لتشـاهد السـعادة فى عينى، لأخفف من وطأة عذابها لإنجابها بنتًا فى مستوى جمالى أو قباحتى.

لم تكـن الأمـور سـهلة، ولكننـى اسـتطعت أن أوظف كل إمكانياتى لأحقق الهدف الأسطورى والخيالى.

عائلته الكبيرة، لم تكن سـعيدة، بل صامتة مصمتة لا تعبير مرضيًا ولا كلام يعبر عن حقيقة المشاعر أو الرضا عن هذه الزيجة.

فسـتان الفرح، والزغاريد، صوت الدفوف ودموع الفرحة فى عين أمى هى كل ما يميز لحظات السعادة.

أما عيون الحسود أو العوازل أو نظرات المعجبات أو المتسائلات فى فضول عن حياتى كل هذا أرغمنى على أن أشـعر أننى فعلا أنتمـى لنادى المهمشـات، غـير الواثقات من الجمـال أو حتى الحب، حتى لو جاء به القدر مدة واحدة فى غفلة من الزمان.

مضت السـاعات هنيـة، منحوتة فى ذاكرتـى، حتى الآن. إن الأيام الحلوة والفرحة حينما تغزو الإنسـان ينسـى التعاسـة والأحزان، إننى كنت السعيدة الأميرة برغم القباحة التى طالتنى وأول من اعترفه بها هى نفسى المسكينة.

طافت بى السـيارة القاهرة، وصلت لغرفتى فى فيلتى القريبة من ضواحى القاهرة.

حملنى عريسى برغم ثقل حجمى، بأنحاء المنزل حتى غرفة نومى ليذيقنى نعيم المتعة ويتلاعب بأصابعه على أوتار السعادة المطلقة فى أنحاء نفسى وجسدى.

المرأة تدرك مشاعر المرأة وتعلم كم هى المتعة ليلة الدخلة ومتعة التحول الجسدى فى المشاعر وكيف يتحول الصمت والسكون إلى أصوات الهياج لإرضاء شهوة جسد محروم، كنت منطلقة إلى أقصى حد، أتصور فى نفسى أشياء غير موجودة كأننى أجمل امرأة أو أننى أعيش حلم وعلى أن أستنفد حلاوته لحرمانى الطويل منه وخشيتى أن ينفد وبالتالى أحرم منه فأعيش تعيسة محرومة.

لم أكن أتوقع أن أخلع ملابسى كلها بهذه الرغبة والبساطة ولا أنه سوف يأكل من جسدى وكأنه شهى ومرغوب وأن تستكمل العلاقة، وكأننى فتاة جميلة يشتهيها حبيبها ويتمناها ويسألها فى سعادة الحصول على الغرض ولا يرغب فى الانتهاء من حلاوتها.

لست بالغباء حين أشعر أننى طلت السحاب، لست ساذجة حينما أعتبر نفسى محظوظة.

فى الصباح الباكر نظرت إلى نفسى فى المرآة أنا متألقة وسعيدة، صحيح المرآة لا تكذب ولكننى أحاول أن أبدأ معها عهدا جديدا.

لم تكن الأيام صعبة، أو غير متكررة، أو اللحظات عابرة.

لكننى لا أنكر أننى قضيت أفضل وأروع شهر عسل فى حياة أى عروس فكما يجود القدر للناس بالجمال يحرمهم من أشياء كثيرة.

الصباح التالى، عشقنى وأشبعنى، اعتقدت أننى فى الجنة والأرض قد تركتها بغير عودة.. أنظر للامحى، قد تغيرت، وثقتى بنفسى قد تبدلت وأننى أصبحت إنسانة جديدة سعيدة.

مع الأيام وحلاوتها ومتعة النزهات والأطعمة الفاخرة والسهرات فى ملابس السهرة.. استطعت أن أعيش العمر وكأنه بدأ منذ ليلتى الأولى.

وكأن القدر رحيم بى بدأت منذ الشهر الأول أشعر بانقطاع الطمث والغثيان والرغبة فى التقيؤ وكأننى أعيش تجربة الحمل، لم أصدق إلا أن أكد الطبيب ذلك.

فرح نبيل وفرحت أمى وكشر عن أنيابهم أخوتى وأهله وكأن الدنيا محرمة على وعلى أن أعيش أوهام السعادة فى عالم الخيال أو الجنة التى أتخيلها.

صار الحمل متعة واللقاء الزوجى متعة والعمل الذى يدر الربح للإنفاق متعة.

لم يكن يقلقنى سوى الحمل، ومنغصاته. ولكنه إحساس جميل رائع أن أكون أما، وأن أفكر فى الرضاعة. وأفكر فى حجرة

للمولود وسنقبل المولود وكل ما يخص الجديد فى حياته وأحلامى تسبقنى كيف ستكون الحياة الجديدة فى أسرة من أم وأب وطفلة.

كنـت بارعة فى أطباق الطعـام، ليس الجمال الظاهرى يؤكد أنها امرأة تطبخ جيدا ولكن الفن فى إدارة شؤون المطبخ من أكبر الفنون التى تظهر فيها المرأة والزوجة تفردها.

نبيل كما هو، العاشـق، القادر على إسعادى الدائم والمستمر، ترقى فى العمل وأصبح هو الناصح الأمين.

الزيارات الأسبوعية مستمرة من أهلى، وطلباتهم المادية زادت بدرجة أكبر وأنا ألبيها فى سعادة وخجل وكتمان.

همسات الناس أننى اشـتريت رجلا وسيما تصل لأذنى دون أن أسمعها ولكنى أدرك كلمات العيون والنظرات الخاطفة.

مازال نبيل يحبنى برغم مرور الشهور وما زال يمنحنى الأمان والثقـة وأننى فعلا جميلة وأنظر للمـرآة بدون غضب بل برضا، فهو يجد فى أشياء كثيرة غير موجودة فى نظرات الآخرين.

حتـى جاء وقت المخـاض، وأخذنى إلى المستشـفى الخاصة وتعلقت بيديه لأننى خشيت الفراق والموت والحرمان من السعادة التـى أحلق فيها تمنيت أن تكون السـعادة التى وهبها لى القدر ما زالت لى، وما زال لى فيها باقى من الجرعات التى سأعيشـها وأتنفسها وأكمل رسالتى كغيرى.

حنانه يدفئنى لمسافة تشجعنى، أخيرا شعرت بآلام المخاض ومعاناته وعذاباته، سأصبح أما، سأمنح البشرية طفلا.

أجمل صوت فى حياة المرأة، أول صوت لطفل يعلن عن وجوده حتى لو كان صراخا أو بكاء.. إنه صوت الحياة التى يؤكدها هذا المخلوق الجديد الضيف الوافد القادم المستمر حتى نهاية قدره.

طفلة.. ابنتى.. سعادتى، كبدى، حياتى، أحبها، أتنفس من روحها.

احتضننى زوجى، وأصبحت حياتى الزوجية كباقى البشر، زوج، زوجة، وطفلة أى أصبح هناك كيان ومستقبل وآمال.

قبلنى وهنأنى زوجى.. وحضر أخوتى، ولم تستطع أمى الحضور، ولكننى حينما انتقلت من المستشفى إليها.. كادت السعادة تبكيها وأمسكت بيد نبيل فى امتنان كأنها تقول له لقد بعثت الروح فىّ بعد أن أشعلت نار السعادة مع ابنتى وأصبح لى حفيدة.

لم تكن الدنيا صعبة، فقط أحلام، هل جرب أحدكم حياة الأحلام السعيدة الدائمة؟!

أستيقظ على حب زوجى، ابتسامة من طفلتى، التى أخذت من والدها كل ملامحه الرائعة.

بمـرور الأسـابيع والشـهور أصبحت الأمور تتطـور للأفضل أصبحـت أزور وأتزاور مع الأصدقاء، وأصبحـت أتقبل نظرات الفضول والتسـاؤل عن الجميـل وأنا أو الحلو وأنـا، أو أنه من الممكـن أن يكـون الطامع فـيّ أو الذى يتسـلق الرغبة من أجل تحقيق مراده وأنه سيأتى اليوم الذى تنكشف فيه الحقيقة.

عيد ميلاد ابنتى كان الفرصة العظيمة التى أصبح فيها مؤهلة لأكون سيدة مجتمع.

زملاء الدراسة والجامعة والعمل وأسرهم حضروا الحفل الهائل وكيف جاء السـاحر والأراجوز وغيره من مطالب الأطفال وتوزيع الهدايا على الحاضرين، هكذا كانت السعادة.

تعودت أن أكون أما، وتعودت أن يشـاهدنى الناس والعيون المحدقة بى ولا أتساءل إن كانت تنفر منى أو تعجب بى أو أى شـىء من هذا القبيل، فالطفولة والأمومـة تلهى المرأة كثيرا عن النظر لجمالها ووقعه على الناس والمجتمع.

أصبحت لنا عادة زيارة النادى والغداء مع الأصدقاء والأهل، وأهـل نبيل لغز ما أزال لا أفهمـه يتقدمون بهدوء ويرحلون دون التسـبب فى أى إزعاج، يتهامسـون الحديث فـى أمور صعبة أو مزعجة أو تؤدى للاحتكاك وكأننى بت مريضة داخل مستشفى وعلى الزوار اتباع التعليمات من أجل صالح المرضى.

لم أكـن أنوى أن أنتظر كثيرا، مـن أجل التجربة الثانية فى الحمل، فالحمل يؤكد أنوثة المرأة ونضوجها ودورها.

مع الآلام الوافدة من الغثيان والدوار والوهم تأكدت أننى أمام التجربـة الثانية لأؤكد الأمومة الرائجة فى جسـدى وأؤكد أننى مازلت مرغوبة وأنثى وخصبة كالأرض الطيبة.

ابتسم نبيل فى سعادة وبدأ يعتنى بى كالعادة.. وخرجنا معا إلى النـادى كعـادة يوم الإجازة وتقابلت مـع عزة التى أصبحت صديقتى القريبة والناصحة المفيدة.

ليه ما تسـافريش أمريـكا ده هناك البيبى بياخد الجنسـية بالـولادة وكمان ممكـن أبوه وأمه ياخدوها دى أمريكا يا سـحر حاجة كلها سحر، حلم الناس والشباب أعظم بلد فى العالم.

استمعت إليها وأشركت نبيل فى الحديث، وكان على دراية بهذه المحاولة التى يقدم عليها الكثيرون من أجل الحصول على الجنسية الأمريكية.

قال ببساطة:

– ممكن نسـافر فى الشـهر التاسـع وعندى معارف، وبعد الولادة بشهر نرجع تانى.

كان يبدو عليه التوتر فسـألته فقال إن أمريكا بلد كبير وبعيد ومن الأفضل أن نتريث فى هذه الفكرة.

وبمرور الوقت وشدة الحمل، وتحسس الجنين داخلى شعرت بأننى أريد له أفضل حياة ممكنة.

نبيل يلعب مع مى ويقول دائما فى أغنية تلازمه معها:

مىّ مىّ ملهاش زى.

سألته وأنا على فراش السعادة المواظب عليه بمتعة كالعادة:

– إيه رأيك نقدم على التأشيرة دى؟

سكت وكأنه يستجمع قوته عايزه رأس مال فى الحساب والغرض من السفر وشوية حاجات كده.

وهكذا استطاع مجدى المحاسب أن يتواصل مع شركات أمريكية ودعوات للزيارة وحساب كبير فى البنك وذهبت للسفر وزوجى يتحدث الإنجليزية بطلاقة.

سألته فى انبهار:

– يعنى كمان شاطر فى اللغات.

– أصلى كنت فى مدرسة أجنبية وأنا صغير واشتغلت فى شركة سياحة كام شهر.

حصلنا ببساطة على التأشيرة وسافرنا فى موعدنا والأهل والأصدقاء يودعوننا ويحسدوننا على حياتنا التى ستكتمل فى أمريكا.. رحلة طويلة.. نزلنا نيوجيرسى.. وبعد حديثه مع ضباط الجوازات والجمارك سألته فى إعجاب:

– ليه مارحتش هوليود علشان يخطفوك.

ابتسم لمداعبتى وقبلنى كالعادة فى الطريق العام دون خشية أى عيون مراقبة أو فضول للآخرين.

وصلنا إلى الشقة المتفق عليها، وعشت أيامى الأمريكية أحاول تذكر ما تعلمته من كلمات وكانت الكافية فى التعامل مع الناس.

مضت الأيام فى أمريكا سهلة، لأن نبيل الرائع استطاع تجميع العدد الكبير من المعارف لكى يطرد وحشتى وتذكرت مرة حديث بينه وبين أخته عن قريبة لهم فنانة تعيش مع والديها فى أمريكا.. وقبل السفر أعطتنى بياناتها.

تحدثت إليها هاتفيا ويالينى ما تحدثت إليها فلقد توترت ملامح نبيل حينما أدرك أننى تحدثت إليها وأعطيتها عنواننا وتمنيت زيارتنا سألته فى فضول إن كانت زيارة إلهام لنا ستسبب المشاكل فلا داعى منها.

صمت قائلا فى وضوح وصراحة:

بينى وبين إلهام علاقة قديمة.. وطبعا مش عايز أعرف أى حاجة عنها لأن كل واحد راح فى طريقه.

صعقت وشحب وجهى حينما نظرت فى المرآة القريبة أمامى وخضت كأفة تجربة كل امرأة وزوجة وأم وتصنعت الهدوء وأصررت على أن تزورنا أو نزورها.

ابتسم قائلا فى هدوء يحاول إقناعى:

إحنـا أصحابنا كثير هنا.. وأنا عارف أنى هانزل مصر قريب وممكـن لما ننزل مصر نبقى نزورها أو تزورنا يا سـتى مفيش أى حاجـز أنا عرفتها زمان دلوقتى هـى متجوزة وأنا متجوز مفيش مشكلة من أن إحنا نتقابل ولكن رأيى.. لأ.. وبلاش.

تصنعـت الهدوء والموافقة، وإلحـاح داخل كل امرأة تريد أن تعرف رصيدها لدى الناس وزوجها.

حدثـت تطورات كبيرة فى أمريكا، أثناء متابعتى للحمل فى المستشـفى القريب قال لى الطبيب إن لديه صديقًا طبيب تجميل وأن كثـيرا من زبائنه من الشـرق الأوسـط فى مستشـفى قريب للتجميل وعلاج التشـوهات الخلقية والجسدية، وأننى أستطيع زيارته بعد الولادة.

سـألت نبيـل أن نذهب إليه فى الأيـام التالية، ودون علمه اتصلت بإلهام لأحدد الموعد الهام الذى أريد أن أعرف منه سـرا من أسـرار نبيل الذى يحرص دائما إخفائها وعدم الخوض فيها أو إعلامى بالكثير من ماضيه وحياته الماضية.

إن رغبة المرأة فى الامتلاك حتى مع القبيحة ليس لها حدود ورغبتها فى إبراز جمالها حتى ولو كان ضئيلا يفوق كل الرغبات.

إننى أريد امتلاك كل نبيل الماضى والحاضر والمستقبل وأريد أن أكون أكثر جمالا وطموحا حتى لو كنت أحلم بأننى سأصبح أجمل نساء الأرض.

جاء يوم الموعد، وخرج نبيل مع مى وتركنى للراحة فى الفراش واتفقت مع إلهام أن تحضر مع زوجها وابنها للغداء، وطبعا كنت أدعوهم فى مطعم من المطاعم القريبة.. وأنا دائما سعيدة على المائدة لأننى أتحاور دون أن أفكر فى أى شىء جديد سأقدمه أو أثناء عملى طبخى فأنا بعيدة عن المطبخ وأنشغل بالحديث مع الزائرين فى لباقة تعلمتها من الحياة الجديدة بعد تعرفى على نبيل.

نصحنى نبيل أن أدعو أيضا صديقه منير وزوجته وأطفاله حتى تكون المائدة على حد قوله (عمرانة).

فى الموعد المحدد حضر منير وزوجته اللبقة الراقية وأطفاله السعداء، وبعد فترة حضرت من المكان البعيد إلهام وزوجها وابنها والتى يطلق عليها بالمصرى (يخرب بيتك إيه الجمال والحلاوة دى) صوتها العذب الموسيقى وزوجها الرائع وابنهما يوحيان أن هناك جمالا سقط من السماء عليهم ليشكلا هذه العائلة الرائعة.

اتصلت بنبيل، جاء صوته كالمريض يرد فى توســل غريب لم أعهده فيه:

– معلــش أصل مى بتلعب وأنا هتأخر ابــدأوا أنتم واعتذرى نيابة عنى.

ابتســمت فى خجل واعتذرت عن عدم حضــور نبيل وبرغم أننى أقرأ بصعوبة لغة العيون إلا أننى أدركت أن هناك توترًا على إلهام أصابها فى مقتل برغم أنها تحاول إخفاءه.

ســألتها وأنا أريد أن أعرى وأكشــف كل شىء – فى فضول قاتل – قد يقتل علاقتى بنبيل، سر سعادتى:

– كنتى بتشتغلى إيه؟

ردت بهدوء:

– فنانة.

– ممثلة؟

– لأ.. عازفة بيانو..

– اشتغلتى فى مصر؟

– مصر وأمريكا.

– لسه بتشتغلى؟

– أيوه.

نظرت إلى زوجها وأنت؟

– مهندس فى شركة Beck العامرية.

– من زمان؟

– أيوه من زمان لأن والدى هاجر من زمان هنا.

بتتكلم عربى كويس.

بابتسامة كبيرة:

– البركة فى إلهام.

حاولت أن أكون المضيفة البسيطة ونظرت إلهام إلى تؤكد أننى لست على مستوى نبيل الوسيم سألتها ببساطة.. وأنا أقصد أشياء كثيرة:

– ليه مازرتناش لما نزلتى مصر؟

– الواحد بيكون مشغول قوى لأننى بأخذ إجازة أيام قليلة.

– على العموم إحنا سعداء بزيارتك لنا وأتمنى نبيل يجى بسرعة مش عارفة ليه اتأخر، أول مرة يتأخر كده.

بدأ منير بلباقة فى كسب مودة زوجها والجميع يشارك فى حلاوة الحديث، وأنا أحاول أبذل جهدا غير اعتيادى للسيطرة على عواطفى المتنافرة من إعجابى بجمالها وشخصيتها ومحاولة نبيل التباعد عنها وعن زيارتها، ولماذا أعطتنى أخته اسمها

وتليفونها إن كان هو يرفض التواجد معنا، فلقد سبب لى إحراجا وخاصة وقت الانصراف.

جـاء نبيل يحمل مى النائمة، شـاحب الوجه، زائغ البصر يعتذر لى عن عدم حضوره وأن الأسباب الكثيرة.

حاولت أن أستجمع شتات أعصابى، وأنا كالعادة على صدره الطيب الذى كان قلقا وكأنه مرة واحدة قد أصبح الصدر الضعيف الذى لا أعرفه.

فـى الصباح الباكر، وكغـير العادة اسـتيقظ نبيل وخرج إلى الطريق بحجة الجرى الرياضى كعادة الأمريكان كل صباح.

انتظرته على الإفطار وكان رقيقا بمبالغة أردت أن أفوق منها إلا أن آلام الحمل زادت فذهبنا معا للمستشفى وحجزتنى للولادة.

أنجبـت طفلا رائعا، ملامحه كنبيل، وكأن الدنيا لا تريد من الإنسان سوى الرضا وسوف يحصل منها على الأكثر.

نبيـل سـعيد، زال توتره، وكأنـه يؤكد أنه يعيـش حياتنا المتكاملة، جاء السـبوع.. وحضرت أخته من القاهرة لتشـاركنا أفراحنا، وأنا أتساءل لماذا حضرت وما هو تفكيرها ولماذا تتدخل فى الأوقات الحرجة دائما بكلمات مبهمة؟

فـي السـبوع. قابل نبيل سـعاد أخته التىأحضـرت لوازم السـبوع من مغـات ودقت الطبول والرق والأطفال والشـموع وأنا سعيدة كونى أما.. وحولى أصدقائى وأقاربى ومعارفى.

فتحـت أبـواب جهنم على نفسـى وعلى أسـرتى بإصرارى حضـور إلهام الحفل، وحضرت إلهام رائعة الجمال هذا الجمال الهادئ ورقة ودقة الملامح والعيون العميقة التى تؤكد الإحسـاس والتعبير عنه وكلمات الفنان حينما تنساب بسهولة من الشفاه.

أعشـق نبيل وأعرف صفاتـه ولمحاته، وتوتـره وانفعالاته، وهكـذا حينما صاح إلهام.. ثم نظر ملتفتـا لى وكأنه يعلن رفضه ولومه على فتح جروح الماضى وأبواب اللعب بالنار.

السـبوع كان مسمار الشـك، مسمار القلق، مسـمار النهاية. لا تتعجلوا فى سماع تواصل الأحداث.

مع نعمة ورضا إرضاع الطفل واحتضان نبيل لى وكأنه يريدنى أن أسقى ابنى السعادة والأمان كانت عيونى التائهة تتساءل عن حقيقة العلاقة والمشاعر.

سـكوت نبيل يقلقنى، ابتعاده عن الرد يزيد فضولى، سعادة أخته فى الشوى على النار لا أفهمها.

مضت الأيام وأنا أرضع كريم الشبيه بنبيل وملامحه تكبر كل يوم، وسعادتى تزداد مع ابتسامته، وأقرب من تعاستى حينما أحاول أن أقرأ ملامح نبيل.

ذات صباح وهو كعادته الجديدة فى رياضة الجرى أشار على بزيارة طبيب التجميل ربما أراد إلهائى أو تصور أننى من الممكن أن أنسى إلهام.

ولكنه عالم صغير.. حينما انفردت بسعاد أحاول أن أعرف منها أسرار العلاقة بين نبيل وإلهام.

وأنا أرضع طفلى.. وأعيش دقائق سعادة الأم قالت سعاد وكأنها تقطع بسكين حاد حياتى:

نبيل وإلهام مثال الحب الهيمان من أيام زمان، وبعدين ببساطة ككل اثنين اتقدم لها، لكنه كان متهورا فى التجارة يبيع ببساطة ومن الممكن النصب عليه أو التهاون أو حتى التوهان.. داين المحل والشغل.. وكل ده علشان إلهام وحبه لها وخروجه وسهره وهداياه.

ظهر الحزن فى ملامحها وفهمت منها أنه كان لديها عريس قادم من أمريكا وكيف كانت سعيدة، ولكن حقيقة الإفلاس أو ضياع الرأسمال بسبب رعونة نبيل لم ينجح هذا الزواج لأن

الشـــرط كان الإقامة بالقاهرة وتأثيث بيـــت فيه ولكن ضياع المال وهزة العائلة أجلت كل شيء.

أصر والد إلهام على فصل الارتباط، وســافر العريس وأنا على أمل بتغيير الأحوال وأن يعود إلى.

شهور قليلة وحصلت المصيبة... تقدم العريس نفسه لإلهام.. واتجوزهــا فى فرح أســطورى وخدهــا إلى لبنان ومنهــا لأوروبا وبعدين أمريكا.

صحيــح اتجــوزت بعدها بعد ما اتحســنت حياتنا التجارية بفضل أخواتى وسمعة والدى ولكنها جوازة ســريعة.. معرفش إن كنت بحب جوزى ولا لأ.

ونبيل انطوى على نفســه، وبدأ يشتغل كام شغلانة وكل يوم مع واحدة شــكل، اعتبرناه نصاب ومش من العيلة وكرهناه كلنا وكأن بيننا وبينه ثأر وكل ما أتخانق مع جوزى أو أشوف مشكلة أفكر فى الانتقام من الســبب، أخويا هو بيحبنى ومسامحنى فى كل حاجة ضده باعملها ولكن أنا مش مســمحاه.. علشــان كده اديتك عنوانها وعلشــان كده عايزاه يدفــع الثمن لأنه برغم كده بيحاول يعيش الحياة بأى حاجة فيها لكن أنا مش مسامحاه.

سألتها بجرأة لم أعهدها فى نفسى:

– هو كان بينك وبين الأمريكانى ده علاقة؟

– المصيبة الأمريكان مايعرفوش حاجة عن الشرق من أول يوم عايز يعرفنى ويبوسنى، وسكتت قائلة ويعكننى.

– اندهشت وتساءلت فى خبث:

– ووافقتى؟

– كأنها قـررت الانتقام، كان أول راجل فى حياتى يعلمنى الحب وحلاوته وأحلامه.. وسـعادة أيامه علشـان كده أنا مش مسامحه.

شـردت بنظرى وسافرت سعاد وسـرها فى قلبها، وانقلبت حياتى مستسـلمة للقدر الذى يريد من الناس أشـياء وأشياء، لم تكن فكرة نبيل السفر لأمريكا ولم تكن فكرته مقابلة إلهام.

وكأن العالم بسـكانه الملايين لا يمكنهـم الامتناع عن مقابلة بعضهم، أثناء الحج يتقابل الحجاج مع معارضيهم فى مصر برغم الملايين المشاركة.

وفـى أمريكا لم يكن سـهل مقابلة إلهام ولكـن رغبة العناد والانتقـام فى أختـه ورغبتى الملحة فى التعـرف عليها كانا من أسباب الألم الذى يضيق به صدرى.

أصبحت أرى قباحتى أكثر فى المرآة، وأصبحت أزور طبيب التجميل وأرسل فى طلب المزيد من المال من مصدره فى القاهرة..

وحـــددت أولى عمليات التجميل التى ســـتأخذ الكثير من الوقت والمال.

انطـــوى نبيل مع محاولاته مع أبنائـــه ومعى وكأننى فتحت جراح صعبة الالتئام.

بعد أول عملية تجميل وتشجيع نبيل اعترفت له بخطأى فى عدم تقدير رأيه فى عدم زيارة إلهام، ابتسم وهز رأسه كأنه يدرك طبيعة الأشياء وكان رده:

– ها نرجع مصر وهانكون أحسن من الأول.

وكأننى أعاند وأركب طوق النجاة.

– مش قبل ما أكمل جلسات التجميل وعملياته.

صمت تام بيننا وكأنه يســـألنى لماذا تريدين أن تكونى جميلة ولمن؟!

مرت الأيام ونسيت إلهام قليلا لأن مسألة الجمال بدأت تشب إلى عمرى مـــرة واحدة، أزيلت الكتل اللحمية الزائدة، وســـعت عينى حتى شـــعرى أصبـــح مختلفًا، آلاف الدولارات تنســـكب لتصنع منى امرأة جديدة وهكذا بعد شهور قليلة أصبحت جميلة.

بدأت فى ممارسة الرياضة وشغفت بها وأحسست الإحساس الجديد، ولم أتفهم مرة نبيل وكيف ذهبت الأيام الجميلة الرائعة التى كانت بيننا.

لم أتعود أن يشرب نبيل ويثمل مع الكأس، وهو يحتضن مى النائمة سألته عما بيننا.

لم يشأ أن يجرحنى فقال:

إنتى دلوقتى جميلة، يمكن أجمل من أى واحدة، ولكن أنا كنت شايف أنك بتحبينى أكثر قبل مايجى جمالك، وكان لك الحق أنك تعملى العملية، لكن أنا كنت شايفك جميلة برغم نظرات الناس لأنى كنت شايف أن كل إنسان داخله جمال، وأن حبك لى زود جمالك فى عينى فى الوقت اللى الناس اتنكرت لى وظلمتنى واتحرمت من مال عيلتى وكأنى طفل أو معتوه أو سفيه. كنتى محتاجانى احتياجك ليا دفعنى أطلع أفضل اللى عندى دلوقتى أنتى الجميلة الثرية وكل حاجة... أنا عندى إيه أقدمه؟ شغلى وأنا عارف أنى فاشل فى إدارة الأعمال وأنى جوز الست فى عملى، كنت حاس أن إحنا واحد أقدم لك الحب وأنت تقدمى لى نفسك.

علشان كده كنت باحترم حبك ورغبتك فىّ كنا بنكمل بعض أنتى بمشاعرك ناحيتى.. وأنا بعطائى لك.. لأنى ما كنت أملك إلا عطائى.

لم أكن أتصور نفسى أقول يوما هذا الكلام.

يعنى كنت بتعمل معايا كل ده علشان أنا باديك مشاعرى لأنى مش شايفة فى الدنيا غير جمالك.

أشار إلى وهو يتحدث بصعوبة بتأثير الشراب:

– أبدا أنا زى ما كنت لقيت اللى بادور عليه.

– والعربية والحاجات اللى بيننا.

كده يا سحر أنتى تجاوزتى الحب والاحترام بيننا مش قادر أكمل الكلام وهاقوم أنام.

نام، وأنا نادمة على كل كلمة، أحاول أن أتذكر ما قاله وأجد العيب فيه وأنا أحاسبه وألومه على كلامه.

جاء الصباح وتدرب، وبدأت الحديث معه، وسكت لم يتحدث أو يرد بأى جواب مرضٍ شعرت أننى أخسره وبدأت فى إثارته ليرد فقال ببساطة:

– الجواز والحب هو تكامل احتياج كل طرف للآخر.. ثم نظر للأطفال وسألنى:

إمتى هانرجع مصر؟

رديت بسرعة.

– الأسبوع الجاى.

كنت قد بدأت الحديث بالإنجليزية وفكرت فى شراء محلات سوبر ماركت فهى تدر الربح، وحجزت تذاكر العودة فلقد كان واضحا أن الإقامة فى أمريكا لها نظام.. وهكذا بدأت فى التجهيز للسفر وشراء ما أرغبه حتى جاء الهاتف من منير.

– سحر عرفتى خبر إلهام.

– خير فيه إيه؟

– فى المستشفى.. حصلت لها حادثة كبيرة.. قولى لنبيل. حصل إيه بالضبط؟

– وقعت العربية من الجبل، جوزها فى العناية المركزة، وابنها مات وهى فى حالة خطرة.

سكت وصمت ولم أرد وفوجئت بنفسى أغلق الخط وكنت أريد أن أشاهد نبيل حينما أنقل إليه الخبر.

كعادته يحمل الأبناء يمرح بهم.. يعيش سعادتهم.

انتظرت حتى اغتسل وغير ملابسه وبدأ فى التحضير للغداء نظرت إليه وكان يتوقع – كعادتى فى آخر أيامى – محاسبته سألته:

– تعرف بيت إلهام فين؟

نظر بعين ورد بدون اكتراث.

– لا.

منير اتصل كان عايز ينقل لك الخبر.. ماتزعلش.. إلهام فى المستشفى وجوزها كمان ومات ابنهم.

زاغت عيناه ووضع رأسه فى كف يديه وكأنه يغلق آلامه وصراخه.. ومضت دقائق صعبة لا أتحدث ولكن صوت مى التى تريد اللعب معه أخرجه من مشاعره.

قام للهاتف وسأل منير وسكت والدموع تريد أن تنتصر لقد أكد حبه لها.. وأكد حزنه على حالتها.

طلبت منه أن نزورها معا، لم يعترض على شيء كأنه طفل سلم قيادته لمن هو أقوى وأفضل منه.

لم أشأ أن أشاهده ضعيفا هكذا، أو متوترا ومهزوما، وأسئلة داخلى تدفعنى ما هو سر تأله، وهل هو فعلا يحبها وهل مازال، وما هو دورى ودور أبنائه معه، مستقبلنا وبيتنا وأسرتنا التى أنشأناها معا.. وصلنا قبل السفر بيومين إلى المستشفى البعيد وقد قاد نبيل السيارة وهو شبه تائه قليل الكلام مشتت الفكر ساهم فى كل شيء ولم أكن أتصور أنه من الممكن أن يتغير.

بالمستشفى كان الخبر اليقين.

زوجها غائب عن الوعى، خضعت هى لعملية بتر لليد وكسر فى معظم أنحاء الجسم، مأساة تألمت لها وكأننى فعلا أفتح باب جهنم على مشاعرى المضطربة.

نبيل تسقط دموعه، المصيبة أننى شاركته مشاعره، فأنا إنسانة ألمم فقد الأشياء وضياع الجمال وخراب الدنيا والعالم.

تذكرت مرة واحدة نبيل وما قدمه لى، وكيف أننى لولاه لكنت العانس القبيحة القابعة فى بيتها.

أجلنا السفر لأسبوع آخر، ولست أدرى لما كان إصرارى على ذلك ولكن هناك من نقل لى خبرًا مروعًا، وكأن الحوادث لا تريد أن تترك الإنسان أوكأننى كنت أعيش حلم جميل فى حضن نبيل وبدأت أحلام الكوابيس.

ماتت أمى.. بكيتها وللمت أشيائى وسافرت إلى القاهرة فى أول طائرة، لقد كنت أعتقد أن مرضها سيلازمها طيلة عمرها ولكن الموت كان رحيما بها.. وآخر مرة حدثتها فى التليفون قلت لها:

– اتغيرت يا ماما عمليات التجميل خلقت منى حاجة جديدة.. القاهرة الرائعة بيتى وأشيائى وعائلتى وأصدقائى ينتظرون الجديدة.. الجميلة.

بدأ الجميع يحسدنى بحق، الجميلة الثرية، الأسرة الهنية، الزوج الوسيم الرائع.. الابنة التى يظهر جمالها مع مرور الأيام والطفل التى تؤكد ملامحه أنه ممثل من ممثلى السينما.

ونسى الجميع أن زوجى قد فقد كل شىء رائع وجميل داخله، الجميع يتوق لمقابلتى ويشاهد ملامحى وتغيرها وجمالى الجديد الذى يؤكد أن القدر رحيم بنا وأن الحياة مازال فيها الجمال ،صحيح ثقتى بنفسى زادت ولكن كان ينقصها روحها،

روح نبيـــل الهائمـــة بعيدا عبر المحيط إلى حيـــث هناك المصابة المتألمة الضائعة فاقدة الابن والزوج والحياة.

لم أشأ أن أتحدث معه بشأنها فلقد تسببت بنفسي وبقصد فى إحضارهـــا والنبش فى ذكرياتهـــا والحديث عن أيامها وما تركته من آثار بينهما.

مضت الأســـابيع أحاول أن أنشـــأ أســـرة جديدة وأمارس الحب كعادتـــى ولكـــن كان هناك فى نبيل مشـــاعر لا أســـتطيع أن أغوص داخلها لم يعد يقبلنى كعادته بعمق، ولم يعد ينتشى كما كان ينتشى فى السابق ولم يعد هو الرجل القوى الذى أحتضنه وأنام فى حضنه.

يبذل قصارى طاقته فى إعطاء الأبناء كل المشـــاعر، وأخوتى بعد رحيل أمى لم يعد لهم مكانة كبيرة فى حياتى.

المـــال فى يدى يـــزداد ولم أعد أهتم ســـوى بمظهرى الجديد الجميل وأحاول أن أعود كسابق عهدى، وقد أنشأت صالة كبيرة للألعاب الرياضية وعيادة تجميل وأنا أحد أكبر زبائنها.

النهاية المتوقعة التى كنت أخشـــاها جاءت بكل شراســـتها، رحل زوج إلهام.. وأصبحت عاجزة وحيدة.. نبيل الإنسان روحه تدفعه ليبحث فى الميزان عن مكان.

هل مـــن العدل أن يترك زوجته وأبناءه ليزورها، أو ينســـاها ويتركها لمصيرها؟

قـال لى ذات صباح إنه يريدنى فى المسـاء بعـد نوم مى فى حديث.. حاولت أن أتحدث إليه ولكنه رفض إلا فى الميعاد.

كعادته جميل رائع..

جلـس فى مقعده ومكانه المفضل ونظر لعينى يحدقنى كعادته أننى منقذته من نفسه وماضيه وقال باختصار:

– أنت سـبب لمعنـى الحياة بعد الضياع، ثـم أردف: أنت أصبحت الجميلة التى يحسدها الناس على جمالها.

وتابع كلامه أنه سيسـافر إلى أمريكا ليساعد إلهام فى تجاوز محنتها.. ذهلت وبدأت فى الكلام واللوم.. والصوت العالى.

سألنى فى رجاء:

– لـو كان بينا خير وده كثير سـاعدينى أن أسـافر وأحاول مسـاعدتها فـى مصيبتها، أنا أسـأت لها فى بدايـة حياتها، وحاولنـا تجاوز الفراق اللى مكانش لنـا يد فيه، وأننى أخطأت فى حقها وظلمتها وظلمت غيرى مكانى دلوقت أخذ بيدها.

ثم أردف بصدق وهو يمسك يدى ويقبلها:

– حبيتك وأخلصت لك وأديتك مشاعرى وحبى ووفائى ولكن الزمن بيتغير، مش هالومك أنك اتصلت بها يمكن ده أحسـن شىء فى حياتى عملتيه لى لأعوضها عن ظلمى ليها.

كدت أن أصرخ.

– يعنى غيرى هاتكون له.

– لا أنا أقوم بدورى فى رفع الظلم عن إنسان وحيد مصاب فى ابنه وجسده وزواجه.. مليش فى حياتك دلوقت دور، ولكن هناك هايكون لى دور.

– يعنى زى ما عملت معايا هاتعمل معاها شفقة وإحسان رد بسرعة:

– اللى كان بينا عطاء والحب عطاء.

– طيب أدينى الحب ده.

– أنتى خلاص مش عايزاه، معاكى كل حاجة تفتكرى أنك ممكن تشترى بها السعادة.

– تقصد العملية؟

– قبل العملية كنت طبيعية وكنت بحبك لأنك طبيعية، التصنيع والتصنع بيقتل كل جميل، كنت جميلة دورت على الجمال مَسك القبح ليه.

– يعنى كنت قبيحة وبقيت جميلة؟

– لا كنت جميلة واتغيرتى علشان عيون الناس.

– هاتروح وتسيبنى لمين وفين؟

– الدنيـا دلوقتى بقت ملكك أنا ماعرفـش هاعمل إيه ولكن أكيـد الدنيا فى أمريكا برغم ثرائهـا وحياتها وجمالها عايزانى ومحتاجة لى.

نظر للساعة قائلا:

– هاتصل بك كل يوم.

فى ذهول قبلنى واحتضنى وأنا جالسة وتركنى فى ذهول تام. هكذا أصبحت النهاية.

سـافر نبيل وحافظ على وعده، واتصل بى كل يوم كما وعد، ولكـن هناك كانت إلهام.. التى احتضنها كما احتضنى وأعطاها الثقة كما أعطانى.. ولم يتحدث عنها ولكن منير الصديق المشترك تطـوع قائلا.. إنه عاش معهـا ليصنع منها معجزة بعد فقد يدها أصبحت تعزف بيد واحدة وتبدع وتعيش الحياة الموسيقية كفنانة معوقة وتحافظ على ابتسامتها ورقتها وتصفيق الجماهير لها.

وظل دائما نبيل خلف الستار يدعمها.

وجدت نفسـى فى العمل.. وأبنائى يسـألون عن والدهم وأنا أقول لهم إنه مسافر وكل شىء نصيب.

هنـاك موظف صغير، يتحدث قليلا مرضـت زوجته وتركته بعد مشوار طويل مع الألم وتركت له ثلاثة أبناء.

ببساطة وبمبادرة منى زرته فى بيته المتواضع، وعرضت عليه فكرة الانتقال عندى.

هكذا منحت الصغار الرعاية والحب وحاولت أن أعلم والدهم أن الدنيا فيها الكثير من الجمال فى العطاء.

تجاوب الرجـــل.. وبنظرة كنت جميلـــة الجميلات ولم يكن يدرك أن هناك من علمنى أنه بالعطاء نصنع الحب والجمال.

رقـم الإيـداع	٢٠١٣ / ١٥٧٢٣
الترقيم الدولى	ISBN 978-977-02-7857-4

٥٨/ ٢٠١٣/ ١

طبع بمطابع دار المعارف